المنار

فسبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى « ومنارا » كمنار الطريق

٣٠ رجب ١٣٤١ ـ ٢٧ الحوت (ش ٣) سنة ١٣٠١ هش ١٨ مارس ١٩٢٣

تفسير القرآن الحكيم

(٤٣) ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا
ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ قالوا نعم فأذن
مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين (٤٤) الذين يصدون عن
سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون (٤٥) وبينهما حجاب
وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ، ونادوا أصحاب الجنة أن
سلام عليكم ، لم يدخلوها وهم يطمعون (٤٦) وإذا صرفت أبصارهم
تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين

بعد أن ذكر سبحانه النار وأهلها ، والجنة وأهلها ، بين لنا في هذه الآيات وما بعدها بعض ما يكون بين الفريقين — فريق الجنة وفريق السعير — من الحوار بعد استقرار كل منهما في داره ، وتمكنه في قراره ، وهي تدل على

ان الدارين في عالم واحد ، أو أرض واحدة ، يفصل بينهما حجاب هو سور واحد لا يمنع من اشراف أهل الجنة وهم في عليين، على أهل النار وهم في سجين من هاوية الجحيم ، فيخاطب بعضهم بعضاً بما يزيد أهل الجنة عرفاناً بقيمة نعمة الله عليهم ، ويزيد أهل النار حسرة على تفريطهم وشقاء على شقائهم، ولا يقتضي هذا النوع من الاتصال القرب المعهود عندنا في الدنيا بين المتخاطبين وهو كون المسافة بينهما تقاس بالذراع أو الباع ، بل يجوز أن تكون بحيث تقاس بالفراسخ والاميال ، لان شأن الآخرة أن تغلب فيه الروحانية على المادة الجسدية ، فيمكن للانسان أن يسمع من هو على بعد أيام منه ويراه ، وقد كان هذا المعنى غريباً بعيداً عن المألوف عند أجدادنا الاولين ، ولا يكاد يوجد الآن في العالم المدني من يستبعده بعد اختراع البشر للآلات التي يتخاطبون بها من أبعاد ألوف الاميال، إما بالاشارات الكتابية، كالتلغراف السلكي واللاسلكي أو بالكلام اللساني كالتلفون السلكي واللاسلكي ، وقد نبأتنا أخبار الاختراعات في الشمال بصنع [illegible] عن رجل

﴿ ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ﴾ التعبير بالماضي عن المستقبل معهود في الاساليب العربية البليغة ، وأشهر نكته جعل المستقبل في تحقق وقوعه كالذي وقع بالفعل ، والمعنى ان أصحاب الجنة سوف ينادون أصحاب النار حتى اذا ما وجهوا أبصارهم اليهم سألوهم سؤال تبجح وافتخار بحسن حالهم ، وتهكم وتذكير بما كان من جناية أهل النار على أنفسهم بتكذيب الرسل، وتقرير لهم بصدق ما بلغوهم من وعد ربهم لمن آمن وأصلح بنعيم الجنة قائلين: قد وعدنا ربنا حقاً وها نحن أولاء فيه فهل وجدتم ما وعد ربكم من آمن به وبما جاءت به رسله حقاً؟

قالوا (وعدنا ربنا) ولم يقولوا لاهل النار (وعدكم ربكم) بل حذفوا المفعول — لانه قد عرف حينئذ ان أهل الجنة محل لذلك الوعد بالجنة وان أهل النار ليسوا محلا له، فسألوهم عن الوعد المطلق كما وجه الى الناس كافة في الدنيا على ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام معلقاً على الايمان والتقوى والعمل الصالح في مثل قوله (١٣ : ٣٦ مثل الجنة التي وُعِد المتقون تجري من تحتها

الأنهار) الخ وقوله (٤٧ : ١٥ مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن) الخ وقوله تعالى في حكاية دعاء الملائكة للذين تابوا واتبعوا سبيله (٤٠ : ٨ ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) وقوله (١٩ : ٦١ جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب) وهذا ظاهر على القول بأن الوعد خاص بما كان في الخير وكذا على القول بأنه يشمل الخير والشر . والمعنى حينئذ : فهل وجدتم ما وعد ربكم من آمن به واتقاه وما وعد به من كفر به وعصاه حقاً بدخولنا الجنة ودخولكم النار؟ وهذا يوافق قاعدة حذف المعمول لافادة العموم . ولا يكاد يطلق الوعد في الشر غير متعلق بالموعود به صراحة ولا ضمنا لانه اذا أطلق ينصرف الى الخير وأما اذا قيد بتعلقه بالشر فيجوز أن تكون تسميته وعدا للتهكم أو للمشاكلة اذا كان في مقابلة وعد الخير أو التغليب، فالاول كقوله تعالى (٢٢: ٧١ قل أفأنبئكم بشر من ذلكم؟ النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير) والثاني كقوله تعالى (٢ : ٢٦٨ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا) على أن وعد الشيطان هنا نكتة أخرى وهو أنه في صورة الخير على سبيل الخداع فانه عبارة عن الوسوسة للمرء بترك الصدقة وعمل البر اتقاء للفقر بذهاب ماله ، وتظهر مقابلة المشاكلة في وعد الله المنافقين والمؤمنين في سورة التوبة (٩ : ٦٩ و٧٣) والثالث (هذا ما وعد الرحمن) اشارة الى البعث. على ان المتكلمين قد صرحوا بجواز تخلف الوعيد وعدم جواز تخلف الوعد ولو كان الوعد بمعنى الوعيد لما كان لاحد من المسلمين أن يقول هذا مع قول الله تعالى (ولن يخلف الله وعده) وما في معناه من الآيات . فهذا ما تبادر لي من نظم الآية الكريمة

وذهب بعض المفسرين الى ان الوعد هنا بمعنى الوعيد ولو للمشاكلة وان المفعول حذف تخفيفا للايجاز أو للعلم به مما قبله والمعنى فهل وجدتم ما وعدكم ربكم من الخزي والهوان والعذاب حقا ؟ وقيل بل المعنى فهل وجدتم ما وعدنا ربنا حقا ، وهذا ضعيف جدا وما قبله قد رواه ابن جرير وغيره عن ابن عباس و «أن» في قوله (أن قد وجدنا) هي المفسرة

﴿ قالوا نعم ﴾ أي قال أهل النار : نعم قد وجدنا ما وعد ربنا حقا . قرأ

الكسائي نعم بكسر العين وهي لغة فصيحة نسبت الى كنانة وهذيل ﴿ فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين ﴾ التأذين رفع الصوت بالاعلام بالشيء، واللعنة عبارة عن الطرد والابعاد مع الخزي والاهانة، أي فكان عقب هذا السؤال والجواب الذي قامت به الحجة على الكافرين ان أذن مؤذن قائلا: لعنة الله على الظالمين لا نفسهم الجانين عليها بما أوجب حرمانها من النعيم المقيم، وارتكاسها في عذاب الجحيم، والظالمين للناس بما يصفهم به في الآية التالية، ونكر المؤذن لان معرفته غير مقصودة بل المقصود الاعلام بما يقوله هنالك للتخويف منه هنا، ولم يرو عن النبي (ص) فيه شيء وهو من أمور الغيب التي لا تعلم علما صحيحا الا بالتوقيف المستند الى الوحي، ولكن المعهود في أمور عالم الغيب ولا سيما الآخرة ان يتولى مثل ذلك فيها ملائكة الله عز وجل.

قال الآلوسي: هو على ما روي عن ابن عباس (رض) صاحب الصور عليه السلام. وقيل مالك خازن النار، وقيل ملك من الملائكة غيرهما يأمره الله بذلك، ورواية الامامية عن الرضا وابن عباس انه علي كرم الله وجهه مما لم يثبت من طريق أهل السنة وبعيد عن هذا الامام ان يكون مؤذنا وهو اذ ذاك في حظائر القدس اه وأقول إن واضعي كتب الجرح والتعديل لرواة الآثار لم يضعوها على قواعد المذاهب وقد كان في أئمتهم من يعد من شيعة علي وآله كعبد الرزاق والحاكم، وما منهم أحد الا وقد عدل كثيراً من الشيعة في روايتهم، فاذا ثبتت هذه الرواية بسند صحيح قبلناها، ولا نرى كونه في حظائر القدس مانعاً منها، ولو كنا نعقل لاسناد هذا التأذين اليه كرم الله وجهه معنى يعد به فضيلة أو مثوبة عند الله تعالى لقبلنا الرواية بما دون السند الصحيح ما لم يكن موضوعا أو معارضاً برواية أقوى سنداً أو أصح متناً

قرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي (أنّ لعنة الله) بفتح الهمزة وتشديد النون ونصب لعنة، وقرأ الاعمش بكسر الهمزة على تقدير القول والباقون بفتح الهمزة وتخفيف النون على انها المفسرة أو المخففة من الثقيلة ورفع لعنة

ثم وصف هؤلاء الظالمين بقوله ﴿ الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا ﴾ تقدم أن صدّ يصد يجيء لازما بمعنى يعرض ويمتنع عن الشيء ومتعديا

بمعنى يصد غيره، وان الايجاز في مثل هذا التعبير يقتضي الجمع بينهما — أي الذين يعرضون عن سلوك سبيل الله الموصلة الي مرضاته وكرامته وثوابه ويضلون الناس عنها، ويمنعونهم من سلوكها ، ويبغونها معوجة أو ذات عوج أي غير مستوية ولا مستقيمة حتى لا يسلكها أحد : قال في اللسان : والعوج بالتحريك مصدر قولك عوج الشيء بالكسر فهو أعوج والاسم العوج بكسر العين ، وعوج يعوج اذا عطف ، والعوج في الارض أن لا تستوي ، وفي التنزيل (لا ترى فيها عوجا ولا أمتاً) قال ابن الاثير قد تكرر ذكر العوج في الحديث اسما وفعلا ومصدرا وفاعلا ومفعولا وهو بفتح العين مختص بكل شكل مرئي كالاجسام وبالكسر بما ليس بمرئي كالرأي والقول ؛ وقيل الكسر يقال فيهما معاً والاول اكثر (ثم قال) وعوج الطريق وعوجه زيغه ؛ وعوج الدين والخلق فساده وميله على المثل، اه وقال الراغب إن العوج (بالتحريك) يقال فيما يدرك بالبصر والعوج (بكسر ففتح) يقال فيما يدرك بالفكر والبصيرة كالدين والمعاش .

وأما بغي الكافرين — أي ظالمهم — أن تكون سبيل الله عوجا أي غير مستوية ولا مستقيمة فيكون على صور شتى ، فأصحاب الظلم العظيم — وهو الشرك — يشوبون التوحيد بشوائب كثيرة من الوثنية أعمها الشرك في العبادة ومخها الدعاء فلا يتوجهون فيه الى الله وحده بل يشركون معه في التوجه والدعاء من يزعمون أنه شفيع عنده وواسطة لديه ، أو وسيلة اليه ، (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء * حنفاء لله غير مشركين به * ديناً قيما ملة ابراهيم حنيفاً * إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين) بل منهم من يتوجهون الى غيره ويدعونه من دونه ، ولا سيما عند الضيق والشدة ، فلا يخطر ببالهم ربهم ولا يذكرونه، ولكنهم اذا أنكر عليهم منكر يتأولون فيقول العامي: المحسوب كالمنسوب ، الواسطة لا تنكر ، ويقول المعمم دعيّ العلم : هذا توسل واستشفاع ، لا عبادة ولا دعاء ، وكرامات الاولياء حق خلافا للمعتزلة ، والاولياء أحياء في قبورهم كالشهداء . وقد فندنا دعواهم مرارا

والظالمون بالابتداع يبغونها عوجا بما يزيدون في الدين من البدع والمحدثات

التي لم ترد في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا سنة الخلفاء الراشدين وجمهور الصحابة ومستندهم في هذه البدع النظريات الفكرية ، والتأويلات الجدلية ، ومحاولة التوفيق بين الدين والفلسفة العقلية ؛ هذا اذا كان الابتداع في المسائل الاعتقادية ، وأما الابتداع بالزيادة في العبادات الواردة والشعائر المشروعة فمنه ما كان كاحتفالات الموالد ، وترتيلات الجنائز ، وأذكار المآذن — كالزيادة في الاذان — وما كان في تحريم ما لم يحرم الله من الزينة والطيبات من الرزق ، أو في إحلال ما حرمه كبناء المساجد على القبور واتخاذها أعيادا وتشريفها وإيقاد المصابيح والسرج من الشموع وغيرها عليها ؛ فان خواصهم يحتجون له بآراء سقيمة ، وأقيسة مؤلفة من مقدمات عقيمة ، واستحسانات ينكرون أصولها ، ويأخذون بفروعها ، وعوامهم يقولون قال فلان من المؤلفين ، وفعل فلان من الصوفية الصالحين ، ونحن لا نفهم كلام الله ولا كلام الرسول ، وانما نفهم كلام هؤلاء الفحول ، بل وجد ولا يزال يوجد من المعممين المترجمين يصرحون لتلاميذهم بأنه لا يجوز لمسلم في زمانهم أن يعمل بكتاب الله ولا بسنة رسوله ولا بما [illegible] المهتدون من سلف الامة الصالح ، بل على كل مسلم أن يأخذ بما يلقنه إياه أي عالم ينتمي الى مذهب من المذاهب المعروفة ، وان لم يرو ما يلقنه عن امام المذهب ولم يستدل عليه بدليل مبني على أصول المذهب التي كان بها مذهبا كعمل أهل المدينة عند مالك بشرطه ، وكون الاجماع الذي يحتج به هو إجماع الصحابة دون من بعدهم وهو مذهب داود والمشهور عن احمد وروي عن أبي حنيفة وكالخلاف في الاحتجاج بالحديث المرسل

والظالمون بالزندقة والنفاق يبغونها عوجا بالتشكيك فيها بضروب من التأويل يقصد بها بطلان الثقة بها والصد عنها ، ومذاهب الباطنية التي أدخلت في الاسلام من منافذ التشيع والتصوف معروفة ، وقد كان لواضعي تلك التأويلات من الفرس غرض سياسي من إفساد الاسلام على أهله وإحداث الشقاق بينهم فيه ، وهو اضعاف العرب وازالة ملكهم للتمكن من اعادة ملك فارس وسلطان الملة المجوسية ، ثم رسخ بالتقليد في طوائف جهلوا أصله ، ومن الافراد من يحاول إفساد دين قومه عليهم ليكونوا مثله فلا يكون محتقراً

بينهم ، ومن زنادقة عصرنا من يحاولون هذا لظنهم أن قومهم لا يمكن أن يكونوا كالافرنج في حضارتهم المادية الشهوانية إلا اذا تركوا دينهم

والظالمون في الاحكام يبغونها عوجا بترك تحري ما أمر الله تعالى به من التزام الحق ، وإقامة ميزان العدل ، والمساواة فيهما بين الناس بالقسط ، بأن لا يحابي أحد لعقيدته أو مذهبه ، ولا لغناه أو قوته ، ولا يهضم حق أحد لضعفه أو فقره ، ولا لفسقه أو كفره ، (ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى) بل منهم من بنى هذه الشريعة العادلة المعتدلة عوجا في أساس نظامها ، وأصول أحكامها ، بجعل حكومتها من قبيل الحكومات الشخصية ، ذات السلطة الاستبدادية ،

والظالمون بالغلو فيها جعلوا يسرها عسراً ، وسعتها ضيقا وحرجاً ، وزادوا على ما شرعه الله من أحكام العبادات والمحظورات والمباحات ، أضعاف ما أنزله الله في كتابه ، وما صح من سنة رسوله ، مما ضاقت به مطولات الاسفار ، التي تنقضي دون [illegible] الاعمار ، ومنهم من جعل غاية الاهتداء بها الفقر والمهانة والذلة والاستكانة ، خلافاً لما نطق به الكتاب من عزة المؤمنين ، وكونهم أولى بزينة الدنيا وطيباتها من الكافرين ،

فهذه أمثلة لمن يبغونها عوجاً من المنتمين اليها والمدعين لهدايتها ، وأما أعداؤها الصرحاء فهم يطعنون في كتاب الله وفي خاتم رسله جهراً بما يختلقون من الافك ، وما يحرفون من الكلم ، وما يخترعون من الشبهات ، وما ينمقون من المشككات ، وأمرهم معروف ، وأجرأهم على البهتان والزور وتعمد قلب الحقائق فريقان — دعاة النصرانية الطامعون في تنصير المسلمين الذين اتخذوا هذه الدعوة حرفة عليها مدار رزقهم ، ورجال السياسة الاستعماريون الطامعون في استعباد المسلمين واستعمار بلادهم ، وكل من الفريقين ظهير للآخر ، فالحكومة السودانية الانكليزية حرمت مجلة المنار على مسلمي السودان بسعي دعاة النصرانية وسعايتهم ، لأن دعوتهم لا تروج في قوم يقرؤن المنار

وأما قوله تعالى ﴿ وهم بالآخرة كافرون ﴾ فهو خاص بمنكري البعث من أولئك الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم شر تلك الفرق كلها — أي وهم على ضلالتهم وإضلالهم كافرون بالآخرة كفراً راسخا

قد صار صفة من صفاتهم فلا يخافون عقاباً على إجرامهم فيتوبوا منه، وتقديم الجار والمجرور (بالآخرة) على متعلقه للاهتمام به فإن أصل كفرهم قد علم مما قبله، وهذا النوع منه له تأثير خاص في اصرارهم على ما أسند اليهم ، وقد غفل عن هذا من قال إن التقديم لاجل رعاية الفاصلة

ومن المعلوم أن المؤذن بلعن هؤلاء في الآخرة يصفهم بالظلم ويسند اليهم الصد عن سبيل الله وبغيها عوجاً بصيغة المضارع ويصفهم بالكفر بالآخرة في الآخرة بعد أن زال الكفر بها ، بعين اليقين فيها، وفات زمن الصد عنها، وبغيها عوجا . والنكتة في هذا تصوير حالهم التي كانوا عليها في الدنيا ، وترتب عليها ما صاروا اليه في الآخرة ، ليتذكروها هم وكل من سمع التأذين بها ، ويعلموا عدل الله بعقابهم عليها ، فكانت البلاغة أن يعدل هنا عن صيغة الماضي الى صيغة الحال حتى يخيل انه هو الواقع عند إطلاق الكلام، كما كانت البلاغة في العدول عن صيغة الاستقبال في تحاور أهل الجنة وأهل النار الى صيغة الماضي لاثبات القطع به وتحقق وقوعه

﴿ وبينهما حجاب ﴾ أي وبين الفريقين حجاب يفصل كلا منهما عن الآخر ويمنعه من الاستطراق اليه ، والحجاب من الحجب بمعنى المنع — كالكفاف من الكف والصوان من الصون — وهو حسي ومعنوي ، والحسي منه ما يمنع الاستطراق دون الرؤية كالزجاج وما يمنعهما جميعا، ومن الحجب المعنوي منع الارث حرماناً أو نقصاناً. وهذا الحجاب بين الجنة والنار هو السور في قوله تعالى من سورة الحديد (٥٧ : ١٣ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً، فضرب بينهم بسور له باب، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) الآية فان الجنة في باطنه ، والنار من قبل ظاهره، أي بالنسبة الى ما يكون الناس عليه في موقف الحساب ، روى البيهقي في الاسماء والصفات عن مقاتل في قوله (فضرب بينهم بسور له باب) قال يعني بالسور حائط بين أهل الجنة وأهل النار له باب باطنه — يعني باطن السور — فيه الرحمة مما يلي الجنة وظاهره من قبله العذاب يعني جهنم · وهو الحجاب الذي ضرب بين أهل الجنة وأهل النار . وروى هو ورواة التفسير المأثور قبله عن مجاهد في آية الحديد قال : ان المنافقين، كانوا مع المؤمنين أحياء في الدنيا يناكحونهم

ويعاشرونهم ، وكانوا معهم أمواتا ويعطون النور جميعا يوم القيامة فيطفأ نور المنافقين اذا بلغوا السور ، يماز بينهم يومئذ . والسور كالحجاب في الاعراف فيقولون « انظرونا نقتبس من نوركم ، قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا »

﴿ وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ﴾ الاعراف بصيغة الجمع ضرب من النخل وجمع لكلمتي الاعرف والعرف (بوزن قفل) ويطلق على أعالي الاشياء وأوائلها ، وكل مرتفع من الارض وغيرها ، ومنه عرف الديك وعرف الفرس وهو الشعر على أعلى الرقبة وعرف السحاب ، روي عن حذيفة (رض) قال : الاعراف سور بين الجنة والنار و عن ابن عباس (رض) روايات (١) الاعراف هو الشيء المشرف (٢) سور له عرف كعرف الديك (٣) تل بين الجنة والنار جلس عليه ناس من أهل الذنوب بين الجنة والنار (٤) السور الذي ذكر الله في القرآن بين الجنة والنار . والتحقيق أن الاعراف هو ذلك السور والحجاب بين الدارين وأعاليهما أو أعاليه التي يكون عليها أولئك الرجال الذين يرون أهل الجنة وأهل النار جميعا قبل الدخول فيهما فيما يظهر فيعرفون كلا منهما بسيماهم التي وصفهم الله تعالى بها في مثل قوله (٣٨ وجوه يومئذ مسفرة ٣٩ ضاحكة مستبشرة ٤٠ ووجوه يومئذ عليها غبرة ٤١ ترهقها قترة ٤٢ أولئك هم الكفرة الفجرة) وأما بعد الدخول فيهما فالتمييز بين الفريقين من تحصيل الحاصل وذكره عبث يتنزه عنه التنزيل ، الا اذا أريد معرفة أشخاص معينين وهو لا يظهر هنا وانما يظهر في قوله (ونادى أصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم) فهذه سيما خاصة لانها لافراد مخصوصين ، وتلك سيما عامة لانها لفريقين أفرادهما غير محصورين .

وقد اختلف المفسرون فيهم على أقوال عدها القرطبي وغيره اثني عشر قولا وهي على ثلاث مراتب (الاولى) انهم بعض أشراف الخلق الممتازين (والثانية) انهم الذين ليسوا من الاخيار الذين رجحت حسناتهم فاستحقوا الجنة ولا من الاشرار الذين رجحت سيئاتهم فاستحقوا النار ، بل تساوت حسناتهم وسيئاتهم وفي بعض الاحاديث الضعيفة أنهم قوم خرجوا للجهاد في سبيل الله بدون إذن آبائهم واستشهدوا فمنعهم من دخول النار قتلهم في سبيل الله ومن دخول الجنة معصية آبائهم — وهذا خاص بدخل في العام الذي قبله (والثالثة) أنهم

أصحاب صفة خاصة ليسوا من أهل الجنة ولا من أهل النار بل منزلة بينهما هي الاعراف . وفي هؤلاء أقوال (١) أهل الفترة (٢) مؤمنو الجن ، وروى ابن عساكر فيه حديثا مرفوعا عن أنس بن مالك من طريق الوليد بن موسى الدمشقي وهو منكر الحديث في أعدل الاقوال ورماه بعضهم بالوضع (٣) أولاد المشركين أي الكفار الذين ماتوا قبل سن التكليف (٤) أولاد الزنا (٥) أهل العجب بأنفسهم وهذان القولان لا وجه لهما البتة (٦) آخر من يفصل الله بينهم وهم عتقاؤه من النار وفيه حديث مرسل حسن الاسناد. وروى بعضهم أن هؤلاء هم الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم ولكن ورد في الصحاح أن آخر من يدخل الجنة «أقوام كانوا قد امتحشوا في النار لم يعملوا خيرا قط فيخرجهم الله منها ويدخلهم الجنة فيقول فيهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه» وذلك بعد اخراج من في قلبه مثقال ذرة من الايمان من النار ، كما في حديث أبي سعيد الخدري في الصحيحين

وأما القائلون بالمرتبة الاولى فلهم أقوال (١) أنهم ملائكة يعرفون أهل الجنة وأهل النار رواه ابن جرير عن أبي مجلز قال الحافظ ابن كثير بعد إيراد الرواية عنه : وهذا صحيح الى أبي مجلز لاحق بن حميد أحد التابعين وهو غريب من قوله وخلاف الظاهر من السياق اه وانما عده غريباً عنه لمخالفته لقول الجمهور لتسمية الملائكة رجالا وهم لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة ، واوله بأنهم في صورة الرجال . وقد اختار هذا القول أبو مسلم الاصفهاني

(٢) انهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام يجعلهم الله تعالى على أعالي ذلك السور تمييزاً لهم على الناس ولانهم شهداؤه على الامم . ورجح هذا القول الرازي

(٣) أنهم عدول الامم الشهداء على الناس من كل أمة حكاه الزهري ، فكما ثبت أن كل رسول يشهد على أمته وثبت أن أمة محمد (ص) شهداء على جملة من الامم بعده — ثبت أيضا أن في الامم شهداء غير الانبياء عليهم السلام قال الله تعالى (فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) وقال في خطاب هذه الامة (وكذلك جعلناكم امة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) وقال في صفة يوم القيامة (٣٩ : ٦٦ وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين

والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون) الخ وهؤلاء الشهداء هم حجة الله على الناس في كل زمان بفضائلهم واستقامتهم على الحق والتزامهم للخير وأعمال البر ، ولولاهم لفقدت القدوة الصالحة

(٤) انهم العباس وحمزة وعلي وجعفر ذو الجناحين (رض) يجلسون على موضع من الصراط يعرفون محبيهم ببياض الوجوه ومبغضيهم بسوادها وهذا القول ذكر الآلوسي أن الضحاك رواه عن ابن عباس ولم نره في شيء من كتب التفسير المأثور، والظاهر أنه نقله عن تفاسير الشيعة وفيه أن أصحاب الاعراف يعرفون كلا من اهل الجنة وأهل النار بسيماهم أي فيميزون بينهم أو يشهدون عليهم وأي فائدة في تمييز هؤلاء السادة على الصراط لمن كان يبغضهم من الامويين ومن يبغضون عليا خاصة من المنافقين والنواصب ؛ وأين الاعراف من الصراط ؟ هذا بعيد عن فهم الكلام وسياقه جدا

(٥) قول مجاهد انهم قوم صالحون فقهاء علماء . وهذا القول انما تعقل حكمته اذا رد الى القول الثالث [illegible] وفيه غرابة

ورجح الجمهور بكثرة الروايات انهم الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم وفيه ان هؤلاء ليسوا من الرجال وحدهم والتعبير برجال يمنع أن يكون فيهم نساء والتغليب لا يظهر هنا، كما يمنع أن يكونوا من الملائكة خلافا لابي مجلز اذ لو أريد هذا أو ذاك لعبر عنه بلفظ يقبله كأن يقول « عباداً يعرفون كلا بسيماهم » وينافي كونهم من الملائكة أيضاً آخر هذه الآية على القول بأن الضمير فيه لاصحاب الاعراف كما ينافي كونهم الانبياء أو الشهداء وكذا الآية التي بعدها، فقد قال تعالى :

﴿ ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم ﴾ أي نادوهم بقولهم سلام عليكم . قيل إن هذا السلام يراد به الاخبار بالسلامة من العذاب والبشارة بالنجاة ان كان قبل دخول الجنة كما هو المتبادر من تمييزهم بين اهل الجنة واهل النار بسيماهم فان هذا التمييز بالسيما انما يكون قبل دخول كل في داره ، وهو المروي عن أبي مجلز وحينئذ يترجح أن يكون اهل الاعراف الانبياء أو الشهداء على الناس منهم ومن غيرهم . وأما ان كان بعد دخولهم الجنة فهو تحية محضة داخلة في عموم قوله تعالى (لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما)

ولا يمنع هـذا الوجه ولا ذاك ان يكونوا من الملائكة بل ورد التنزيل والحديث الصحيح بتسليم الملائكة على اهل الجنة (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب: سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار)

وقوله ﴿ لم يدخلوها وهم يطمعون ﴾ فيه وجهان احدهما انه في اصحاب الاعراف وسيأتي ما روي فيه ، والثاني انه في اهل الجنة والجملة حالية على الوجهين اي نادوهم مسلمين عليهم حال كونهم لم يدخلوها معهم وهم طامعون في ذلك أو حال كون أهل الجنة لم يدخلوا الجنة بعد وهم يطمعون في دخولها، لما بدا لهم من يسر الحساب ، ولا سيما اذا كان ذلك بعد المرور على الصراط ، وقد ورد في الآثار أن الناس يكونون في الموقف بين الخوف والرجاء لا تطمئن قلوب اهل الجنة حتى يدخلوها ومن ذلك ما رواه أبو نعيم في حلية الاولياء عن عمر بن الخطاب (رض) أنه قال : لو نادى مناد : يا أهل الموقف ادخلوا النار الا رجلا واحدا لرجوت أن أكون ذلك الرجل ، ولو نادى : ادخلوا الجنة الا رجلا [illegible] المنى لا أذكر أي المكانين قدم ، وهذا الوجه [illegible]

﴿ واذا صرفت ابصارهم [illegible] قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ﴾ افاد هذا التعبير بالفعل المبني للمجهول أنهم يوجهون ابصارهم الى اصحاب الجنة بالقصد والرغبة ويلقون اليهم السلام ، وانهم يكرهون رؤية اصحاب النار فاذا صرفت ابصارهم تلقاءهم أي حولت الى الجهة التي تلقاهم وتبصرهم فيها — وانما يكون ذلك من غير توجه ولا رغبة ، بل بمقتضى سرعة تحولها من جهة الى جهة — قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين حيث هم ولا حيث يكونون . وهذا الدعاء لا يظهر صدوره من الملائكة الا بتأويل ان لا يكونوا من الموكلين بعذابهم ، أو على القول بأن المراد به استعظام حال الظالمين واستفظاع مآلهم ، لا حقيقة الدعاء. ويجاب بهذا الاخير من أنكر أن يكون الانبياء هم اصحاب الاعراف

والانصاف ان هذا الدعاء أليق بحال من استوت حسناتهم وسيئاتهم ، وكانوا موقوفين مجهولا مصيرهم ، روى ابن جرير عن شعبة أن حذيفة رضي الله عنه ذكر أصحاب الاعراف فقال هم قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار وقعدت بهم

سيئاتهم عن الجنة فاذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين . فبينما هم كذلك اذ طلع عليهم ربك فقال لهم اذهبوا فادخلوا الجنة فاني قد غفرت لكم . وعن سعيد بن جبير أن ابن مسعود (رض) قال يحاسب الله الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة ، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار ، ثم قرأ قول الله (فمن ثقلت موازينه) الآيتين ثم قال : الميزان يخف بمثقال حبة ويرجح ، قال ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الاعراف فوقفوا على الصراط ثم عرفوا أهل الجنة وأهل النار فاذا نظروا الى أهل الجنة قالوا : سلام عليكم ، واذا صرفت أبصارهم الى يسارهم نظروا الى أهل النار فقالوا (ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) تعوذوا بالله من منازلهم (قال) فأما أصحاب الحسنات فانهم يعطون نوراً يمشون به بين أيديهم وبأيمانهم ، ويعطى كل عبد يومئذ نوراً وكل أمة نوراً ، فاذا أتوا على الصراط سلب الله نور كل منافق ومنافقة ، فلما رأى أهل الجنة ما لقي المنافقون (قالوا ربنا أتمم لنا نورنا) وأما أصحاب الاعراف فان النور كان بأيديهم فلم ينزع فهنالك يقول الله تعالى (لم يدخلوها وهم يطمعون) فكان الطمع دخولا (قال) فقال ابن مسعود على أن العبد اذا عمل حسنة كتبها له بها عشراً واذا عمل سيئة لم تكتب الا واحدة ، ثم يقول : هلك من غلب واحدته أعشاره اه

فهذا أوضح بيان مفصل للقول الذي اعتمده الجمهور ، وظاهره ان هذا كله يقع بعد الموقف وقبل أن يجعل هؤلاء الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم على الاعراف فان السور الذي فسرت الاعراف به أو بأعاليه يضرب بعد ذهابهم من الموقف يسيرون بنورهم الى الجنة كما هو ظاهر آية سورة الحديد وقد ذكرناها عند تفسير كلمة الاعراف ، وفيه أنه تعالى ذكر معرفتهم لاصحاب الجنة وأصحاب النار بسيماهم وندائهم بالسلام على أهل الجنة ، بعنوان انهم اصحاب الاعراف ولا يصح هذا العنوان قبل وجودهم عليها الا اذا ثبت انهم يسمون اصحابها قبل ذلك او على التأويل بجعله من مجاز الاول كقوله (اعصر خمرا) وهو بعيد

---

(٤٧) وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا

مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (٤٨) أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ، ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ

﴿ ونادى أصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا : ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون ﴾ كرر ذكرهم مع قرب العهد به فلم يقل (ونادوا) لزيادة التقرير وكون هذا النداء خاصاً في موضوع خاص فكان مستقلا دون ما قبله الموجه الى اهل الجنة في جملتهم · والظاهر ان هذا النداء يكون من بعضهم لمن كانوا يعرفونهم في الدنيا من المستكبرين بغناهم وقوتهم ، المحتقرين لضعفاء المؤمنين لفقرهم وضعف عصبيتهم ، أو لحرمانهم من عصبة تمنعهم وتذود عنهم ، الذين كانوا يزعمون ان من أغناه الله تعالى وجعله قويا في الدنيا هو الذي يعطيه نعيم الآخرة ان كان هنالك آخرة (٣٤ : ٣٤ وما أرسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون ٣٥ وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين) ومن هؤلاء قريش الذين قاوموا الاسلام في مكة واضطهدوا أهله كأبي جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل . وقد ذكروا أنهم يعرفونهم بسيما أهل النار العامة كسواد الوجوه وزرقة العيون ، والذي يظهر أنهم يعرفونهم بسيماهم الخاصة التي كانوا عليها في الدنيا أو بسيما المستكبرين اذ ورد ما يدل على ان لكل من تغلب عليهم رذيلة خاصة صفة وعلامة تدل عليهم، وفي الصحيح « يلقى ابراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة» فيشفع له فلا تقبل شفاعته ثم يمسخه الله ذيخامنتنا لبزول عن ابراهيم خزيه،وان مسخه ضبعا مناسب لحالته ونتن الشرك (راجع ص٥٣٨ ج٧ تفسير) والاستفهام هنا للتوبيخ والتقريع، أي ما أغنى عنكم جمعكم للمال ، وكذا للرجال عند القتال، واستكباركم على المستضعفين والفقراء من أهل الايمان، وهو لم يمنع عنكم العذاب ، ولا أفادكم شيئاً من الثواب :

﴿ أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ؟ ﴾ أي يشيرون الى أولئك المستضعفين الذين كانوا يضطهدونهم ويعذبونهم في الدنيا كآل ياسر وصهيب الرومي وبلال الحبشي ، ويقولون لهم متهكمين بخزيهم وفوز من كانوا يحتقرونهم: أهؤلاء الذين أقسمتم في الدنيا على ان الله تعالى لا ينالهم برحمة لانهم لم يعطهم

من الدنيا ما أعطاكم ﴿ ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ﴾ أي قيل لهم من قبل الرحمن عز وجل : أدخلوا الجنة لا خوف عليكم مما يكون في مستقبل أمركم، ولا أنتم تحزنون من شيء ينغص عليكم حاضركم ، وحذف القول لعلمه من قرائن الكلام كثير في التنزيل ، وفي كلام العرب الخلص . ولكنه قل في كلام المولدين، حتى لا تراه إلا في كلام بعض بلغاء المنشئين ، وقيل ان أهل الاعراف هم الذين يقولون لهؤلاء ادخلوا الجنة الخ وهو بعيد بل لا يصح مطلقاً على القول بأنهم الذين استوت حسناتهم وسيآتهم اذ لا يليق بحالهم أن يخاطبوا من هم فوقهم بهذا الامر لا قبل دخول الجنة ولا بعده : وهو وان كان يليق من الملائكة أو الانبياء عليهم الصلاة والسلام فالمتبادر الاول وهو الحكاية بتقدير القول وروي عن عكرمة . وقيل ان الامر بدخول الجنة لاصحاب الاعراف . روي عن الربيع بن أنس في تفسير الآية قال كان رجال في النار قد أقسموا بالله لا ينال أصحاب الاعراف من الله رحمة فأدخلهم الله فكانوا آخر أهل الجنة دخولا فيما سمعنا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهذا ضعيف معارض بما في الصحاح في آخر أهل الجنة دخولا [illegible]

وجملة القول في أصحاب الاعراف [illegible] يحتمل أن يكون في أثناء الموقف قبل دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وأن يكون بعد ذلك فالاول يرجح أنهم الانبياء وحدهم او مع غيرهم من الشهداء على الخلق لان وجودهم هنالك تمييز وتفضيل على جميع أهل الموقف ولا يصح هذا لغيرهم الا أن يكون للملائكة وهو ما يتم منه ما تقدم في موضعه . والثاني يرجح أنهم الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم بمعونة كثرة الروايات فيه ، وانهم يوقفون هنالك طائفة من الزمن يظهر فيها عدل الله تعالى بعدم مساواتهم باصحاب الحسنات الراجحة بدخول الجنة معهم ولا بأصحاب السيئات الراجحة بدخول النار معهم ، ولو بقوا في هذه المنزلة بين المنزلتين لكان عدلا ولكن ورد أنه تعالى يعاملهم بعد هذا العدل بالفضل ويدخلهم الجنة ، ولا بد أن يكون ذلك قبل اخراج من يعذبون في النار من المؤمنين الذين رجحت سيئاتهم على حسناتهم ، والدليل على عدم بقاء احد في منزلة بين الجنة والنار ماورد من الآيات الكثيرة في القسمة الثنائية (فريق في الجنة وفريق في السعير)

وكل من ذينك الاحتمالين الذي يبنى عليهما الترجيح بين هذين القولين له مرجحات من الآيات كما علم من تفسيرنا لها ، وقد يكون من مرجحات الثاني وضم هذه الآيات بين نداء أهل الجنة أهل النار : أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا — الآية ، ونداء أهل النار أهل الجنة أن يفيضوا عليهم من الماء والطعام الذي يتمتعون به — في قوله عز وجل :

---

(٤٩) وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ

﴿ ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ﴾ هذا الطلب [illegible] إفاضة أهل الجنة الماء وغيره على أهل النار على ما بين المكانين من الارتفاع والانخفاض وقد بينا وجهه المعقول في مقدمة تفسير هذا السياق . وإفاضة الماء صبه ومادة الفيض فيها معنى الكثرة ؛ وما رزقهم الله يشمل الطعام وغير الماء من الاشربة « وأو » في قوله « أو مما رزقكم الله » للتخيير فهي لا تمنع الجمع بين الماء والطعام ، ويقدر بعضهم فعلا مناسباً للرزق على حد « علفتها تبناً وماء بارداً » والصواب ان الفيض والافاضة يستعملان في غير الماء والدمع فيقال فاض الرزق والخير وأفاض عليه النعم ، ومن الامثال أعطاه غيضاً من فيض — أي قليلا من كثير . وعدّ الزمخشري الافاضة في الحديث من الحقيقة خلافا للراغب الذي جعلها استعارة . والمعنى أن أهل النار يستجدون أهل الجنة أن يفيضوا عليهم من النعم الكثيرة التي يتمتعون بها من شراب وطعام ؛ وقدموا طلب الماء لان من كان في « سموم وحميم » يكون شعوره بالحاجة الى الماء البارد أشد من شعوره بالحاجة الى الطعام الطيب .

﴿ قالوا ان الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا ﴾ الحرام في اللغة الممنوع ، والتحريم وهو المنع قسمان : تحريم بالحكم والتكليف كتحريم الله الفواحش والمنكرات وأرض الحرم أن يؤخذ صيدها أو يقطع شجرها أو يختلى خلاها (أي ينزع حشيشها) وتحريم بالفعل أو القهر كتحريم الجنة وما فيها على الكافرين في هذه الآية وفي قوله (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) أي قال اهل الجنة جوابا عن هذا الاستجداء : ان الله قد حرم ماء الجنة ورزقها على الكافرين كما حرم عليهم دخولها ، فلا يمكن إفاضة شيء منها عليهم وهم في النار ، فان لهم ماءها الحميم، وطعامها من الضريع والزقوم

روي عن ابن عباس أنه قال في تفسير هذا الاستجداء : ينادي الرجل أخاه فيقول يا أخي أغثني فاني قد احترقت فأفض علي من الماء ، فيقال أجبه ،فيقول ان الله حرمها على الكافرين . وعن ابن زيد في الطلب قال : يستسقونهم ويستطعمونهم - وفي قوله « حرمها » قال طعام الجنة وشرابها . وروى عبد الله بن احمد في زوائد الزهد والبيهقي في شعب الايمان ان عبد الله بن عمر (رض) شرب ماء باردا فبكى فسئل ما يبكيك ؟ قال ذكرت آية في كتاب الله (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) فعرفت أن أهل النار لا يشتهون الا الماء البارد وقد قال الله عز وجل (أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله) اه وفيه أن لا آية لاحصر فيها. وفي الشعب والتفسير المأثور عنه أيضاً انه سئل أي الصدقة أفضل؟ فقال قال رسول الله (ص) «أفضل الصدقة سقي الماء. ألم تسمع الى أهل النار لما استغاثوا بأهل الجنة قالوا (أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله) وروى احمد عن سعد بن عبادة ان امه ماتت فقال يارسول أأتصدق عليها؟ قال « نعم» قال فأي الصدقة أفضل ؟ قال «سقي الماء »

ذكروا من وصف الكافرين أنهم هم الذين كانوا سبب هذا الحرمان وهو أنهم اتخذوا دينهم أعمالا لا تزكي الانفس فتكون أهلا لدار الكرامة، بل هي إما لهو وهو ما يشغل الانسان عن الجد والاعمال المفيدة بالتلذذ بما تهوى النفس، واما لعب وهو ما لا تقصد منه فائدة صحيحة كأعمال الاطفال، وغرتهم الحياة الدنيا فكان كل همهم التمتع بشهواتها ولذاتها حراما كانت أو حلالا لانها مطلوبة عندهم لذاتها .

واما اهل الجنة فهم الذين سموا لمناسبها باعمال الايمان التي تزكي الانفس وترقيها فلم يغتروا بالحياة الدنيا، بل كانت الدنيا عندهم مزرعة الآخرة لا مقصودة لذاتها، لذلك كانوا يقصدون بالتمتع بنعم الله فيها الاستعانة بها على ما يرضيه من إقامة الحق وعمل الخير والاستعداد للحياة الابدية

ومن اراد التفصيل في هذا الموضوع فليرجع الى تفسير «٦ : ٢٩ وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين - الى قوله - ٣٢ وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون»[1] وفيه بحث طويل في اللعب واللهو ونكتة تقديم اللعب على اللهو فيها وفي بعض الآيات وتقديم اللهو على اللعب في آية الاعراف التي نحن بصدد تفسيرها. وليراجع أيضا تفسير قوله تعالى ٦ : ٧٠ وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا[2] وفيه خمسة أوجه في تفسير اتخاذ الدين لعبا ولهوا.

﴿ فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا ﴾ هذا من قول الله عز وجل مرتب على ما قبله ترتب المسبب على السبب، والمراد باليوم يوم الجزاء وهو محدود بالعمل الذي هو الجزاء [illegible] والمراد تعاملهم معاملة المنسي الذي لا [illegible] اليوم [illegible] كالمنسي بعدم الاستعداد والتزود له، والظاهر أن الكاف هنا للتعليل كقوله (واذكروه كما هداكم) أي لهدايته لكم - لا للتشبيه وهو هنا يصح معنى على حد المثل: الجزاء من جنس العمل، ولكن لا يصح فيما عطف عليه من قوله

﴿ وما كانوا بآياتنا يجحدون ﴾ بل يتعين فيه التعليل: فنسيان الله لهم المراد به حرمانهم من نعيم الجنة معلول بنسيانهم لقاء يوم الجزاء اذ المراد به ترك العمل له وبالجحود بآيات الله الذي هو عبارة عن الكفر بدينه ورفض ما جاءت به رسله ظلما وعلوا، فينطبق على سائر الآيات الناطقة بأن الجزاء في الدارين على الاعتقاد والعمل جميعا

﴿ تنبيه وتصحيح ﴾ بعد طبع الكراسة التي قبل هذه ظهر لنا ان الاحتمالات فيما حكي عن اصحاب الاعراف ثلاثة : ان يكون في اثناء الموقف او بعد المرور على الصراط او بعد دخول كل من اصحاب الجنة والنار فيهما، والثاني كالثالث في ترجيح قول الجمهور فيهم

(١) ص ٣٥٧ - ٣٧٠ ج ٧ تفسير (٢) ص ٥١٨ ج ٧ تفسير أيضاً

فتاوى المنار

(الاكراه على الطلاق معلقا عقب عقد النكاح)

(س ٩) من صاحب الامضاء في (سمبس — جاوه)

حضرة العلامة الاكبر ، الذي هو حجة الاسلام في هذا العصر ، مولاي الاستاذ (السيد محمد رشيد رضا) صاحب مجلة المنار الأغر ، حفظه الله تعالى

السلام عليكم تحية مباركة طيبة . وبعد فاني أرجو كل الرجاء أن تتفضلوا علي بالجواب عما يأتي :

قد جرت عادة في بلدنا وفي سائر بلاد جاوه وملايو من زمن بعيد الى اليوم أن كل عاقد النكاح من قبل الحكومة يلقن كل زوج عقد له النكاح عقبه تعليق الطلاق بما اذا غاب عنها ولم يترك لها نفقة ولم ينفق عليها في غيبته مدة ستة أشهر مثلا وهي غير ناشزة فاذا لم ترض بذلك واشتكت أمرها الى الحاكم وثبتت دعواها ببينة وقبلها طلقت طلقة واحدة .

وغير ذلك من التعاليق التي تناسب حال كل بلد من هذه البلاد ، والتعليق الذي جرينا عليه في بلدنا وطالبنا كل زوج عقدنا له بالتلفظ به هو بأمر ملكنا (السلطان) وكذا في سائر تلك البلاد بأمر أولياء أمورهم

ثم إني رأيت في هذه الايام أن لا حاجة لنا الى هذا التعليق فان في مذهب الشافعي رحمه الله بابا واسعا في فسخ النكاح . والغرض من التعليق هو التفريق بين المرء وزوجه بموجب تعليقه . وقبل كتابة هذا الكتاب سألت نفراً من المشتغلين بعقد الانكحة عن التعليق هل هو سنة أومكروه أو . . . أو . . . وما فائدته ؟ فلم أجد في أجوبتهم الا استحسان التعليق ، حتى غلا بعضهم فيه وقال يجب على الامة أن تطيع أمر السلطان به وانه يصح ولو مع الاكراه عليه لانه اكراه بحق .

قلت لا يصح التعليق مع الاكراه فانه اكراه بغير حق وانما تجب طاعة السلطان في المعروف كما ورد في الحديث « انما الطاعة في المعروف » ولا يكون الشيء واجبا الا اذا كان له مستند من الادلة الشرعية وهي الكتاب والسنة والاجماع والقياس يبين كونه واجبا، وهل لهذا التعليق مستند من هذه الادلة ? بل قلت ان مثل التعليق الذي جرينا عليه بدعة مكروهة ان لم أقل انها حرام فان الاسلام لم يأمرنا بتحليف الزوج بالطلاق ليقوم بالحقوق الزوجية . وأما اذا كان الزوج نفسه يعلق طلاق زوجته بأي شيء، كان فقد قال في شرح الروض « تعليقه جائز »

ثم إني قرأت في هذه الايام في كتاب باللغة الملاوية للسيد عثمان بن عقيل اسمه « القوانين الشرعية » قوله فيه ما تعريبه (انما يستحسن تعليق الطلاق بعد عقد النكاح لتذكير الزوج بالمحافظة على حق زوجته من المعاشرة بالمعروف كما أمر الله به في كتابه (وعاشروهن بالمعروف) اه وها أنذا أنقل التعليق المستعمل في بتاوى بنصه المعرب من الكتاب المذكور وهو :

« أما بعد عقد النكاح فأقول في تعليق الطلاق زوجتي فلانة بنت فلان بأحد هذه الافعال الثلاثة الآتية حالة كوني أحث على نفسي (٢) أن لا أفعل شيئا منها وهي : كلما لم أنفق على زوجتي فلانة بنت فلان النفقة الواجبة علي شرعا مدة شهر واحد ولم ترض بذلك وشكت أمرها بنفسها أو بوكيلها عنها وكالة شرعية الى (٢) عند راد اكام (المحكمة الشرعية) وأثبتت هي أو وكيلها دعواها بذلك عند (راد اكام) وطلبت طلاقها بنفسها أو بواسطة وكيلها عنها فهي طالقة من عقدي (٢) طلقة واحدة. كلما غبت عن زوجتي فلانة بنت فلان في سفر البر أو في البلد ستة أشهر أو في سفر البحر سنة واحدة ولم ترض بذلك وشكت أمرها بنفسها أو بواسطة وكيلها عنها وكالة شرعية الى (٢) عند (راد اكام) وأثبتت هي أو وكيلها دعواها بذلك عند (راد اكام)وطلبت طلاقها بنفسها أو بواسطة وكيلها منها فهي طالقة من عقدي طلقة واحدة . كلما ضربت زوجتي فلانة بنت فلان ضربا موجعا غير لائق في الشرع ولم ترض بذلك وشكت أمرها بنفسها أو بواسطة وكيلها عنها وكالة شرعية الى عند

(راد أكام) وأثبتت هي أو وكيلها دعواها عند (راد كام) وطلبت هي طلاقها بنفسها أو بواسطة وكيلها منها فهي طالقة من عقدي طلقة واحدة اه بالحروف

ما تقولون في هذا التعليق فهل يستحسن شرعا أم لا ؟ اني أقول انما استحسنوا التعليق وأغلقوا باب الفسخ لانهم اضطربوا في فهم أقوال العلماء المختلفة فيه كقول بعضهم لا يجوز فسخ عقد من غاب غيبة منقطعة وجهل حاله يسارا وإعسارا وبعضهم قال بجوازه . فهم لا يتجرؤن على ترجيح قول على آخر من تلك الاقوال لانهم قالوا انهم ليسوا من أهل الترجيح . هذا والمرجو أن تبينوا لنا سريعا الحق في ذلك فيكون جوابكم هو الفصل بين الحق والباطل ؟ الامضاء

سمبس ٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٤١ م . ب . ع

(ج) إكراه الناس على تطليق أزواجهم عقب العقد عليهن طلاقا معلقا على ما ذكر أو غيره بدعة قبيحة لم ينقل عن حكومة من حكومات السلف ولا الخلف ، ولم يطلع [illegible] جوازه ، ولا ندري من ابتدعها ومن زينها لها . فلعل السائل يبين لنا هذا إن كان يعلمه ، وهل عثمان بن عقيل أول من وضع لها هذه الصيغ الدالة على ما كان عليه من الجهل بالشرع وباللغة العربية التي لا يمكن فهم الشرع بدون إتقانها كما هو معهود بكل ما اطلعنا عليه من كتبه أم كانت قبل ذلك ؟ ومن الغريب أن يحجم علماؤهم وحكامهم المسلمون عن ترجيح قول للفقهاء على آخر كل منهما صحيح عنهم . وأن لا يروا بأسا في ابتداع أمر لم يقل به أحد منهم . فان قولهم بجواز تعليق الطلاق أمر غير إكراه كل أحد عليه وما يقصدون به من القيام بحقوق الزوجة قد يفضي الى كثرة التفرقة بين الزوجين وتخريب البيوت

ويمكننا أن نستغني عن محاولة اقناعهم بما هو الغرض الصحيح الذي يريدونه من هذه البدعة وهو رفع الضرر عن الزوجة بما قررته الدولة العثمانية من أحكام فسخ النكاح والتفريق بين الزوجين على مخالفته لمذهب الحنفية الذي هو المذهب الرسمي لها وهو :

مواد فسخ النكاح في محاكم الدولة العثمانية

المادة ١٢٢ — اذا اطلعت الزوجة بعد النكاح على وجود علة في الزوج من العلل التي لا يمكن المقام معها بلا ضرر أو حدثت به أخيرا هكذا علة فللزوجة أن تراجع الحاكم وتطلب فسخ نكاحها منه . فان كان يؤمل زوال تلك العلة يؤجل الحاكم الفسخ سنة فاذا لم تزل العلة في خلال هذه المدة وكان الزوج غير راض بالطلاق والزوجة مصرة على طلبه يحكم الحاكم بالفسخ . أما وجود عيب كالعمى والعرج في الزوج فلا يوجب التفريق

المادة ١٢٣ — اذا جن الزوج بعد عقد النكاح وراجعت الزوجة الحاكم طالبة تفريقها يؤجل الحاكم التفريق لمدة سنة . فاذا لم تزل الجنة في هذه المدة وكانت الزوجة مصرة يحكم الحاكم بالتفريق

المادة ١٢٤ — خيار الزوجة غير فوري في الاحوال التي لها بها الخيار فلها[1] أن تؤخر الدعوى وتتركها مدة بعد ادعائها

المادة ١٢٥ — اذا جدد الطرفان العقد بعد التفريق وفقا للمواد السابقة فليس للزوجة حق الخيار في الزواج الثاني

المادة ١٢٦ — اذا اختفى الزوج أو سافر الى محل بعد مدة السفر أو أقل منها ثم غاب وانقطعت أخباره وأصبح تحصيل النفقة منه متعذرا وطلبت الزوجة التفريق يحكم الحاكم بالتفريق بينهما بعد بذل الجهد في البحث والتحري .

المادة ١٢٧ — اذا راجعت الزوجة التي غاب زوجها الحاكم وكان زوجها ترك لها مالا من جنس النفقة وطلبت منه التفريق يجري الحاكم التحقيقات بحق ذلك الشخص فاذا يئس من الوقوف على خبر حياته أو مماته يؤجل الامر أربع سنوات اعتبارا من تاريخ اليأس فاذا لم يقف على خبر من الزوج المفقود وكانت الزوجة مصرة على طلبها يفرق الحاكم بينهما . واذا كان الزوج غائبا في دار

(١) لها ذلك بشرط أن لا تظهر منها أمارة من أمارات الرضا بالعيب كما مر في المادة (١٢٠) اهـ من حاشية الاصل

لحرب يفرق الحاكم بينهما بعد مرور سنة اعتبارا من رجوع الفريقين المتحاربين وأسراهم الى بلادهم وعلى كلتا الحالتين فالزوجة تعتد عدة الوفاة اعتبارا من تاريخ الحكم

المادة ١٢٨ — اذا تزوجت المرأة التي حكم بتفريقها وفقا للمواد السابقة بشخص آخر ثم ظهر الزوج الاول فلا ينفسخ النكاح الاخير .

المادة ١٢٩ — اذا تزوجت الزوجة التي حكم بوفاة زوجها ثم تحققت حياة الزوج الاول لا ينفسخ النكاح الثاني .

المادة ١٣٠ — اذا ظهر بين الزوجين نزاع وشقاق وراجع أحدهما الحاكم يعين حكما من أهل الزوج وحكما من أهل الزوجة واذا لم يجد حكما من أهلهما أو وجد ولكن لم تتوفر فيهما الاوصاف اللازمة يعين من غير أهلهما من يراه مناسبا . فالمجلس العائلي الذي يتألف على هذه الصورة يصغى الى شكاوى الطرفين ومدافعاتهم ويدقق فيها ويبذل جهده لاصلاح ذات بينهما فاذا لم يمكن الاصلاح وكان الذنب على الزوج يفرق بينهما واذا كان على الزوجة يخالعها (١) على كامل المهر أو على قسم منه فاذا لم يتفق الحكمان يعين الحاكم (هيأة حكمية) أخرى من أهليهما حائزة للاوصاف اللازمة أو حكما ثالثا من غير أهليهما ويكون حكم هؤلاء قطعيا وغير قابل للاعتراض . اه

﴿ التهويش على المصلي وهل منه الخطبة وتكبير العيد ﴾

(س ١٠) من صاحب الامضاء في دمياط

فضيلة الاستاذ الامام الرشيد صاحب المنار

السلام عليكم يافضيلة الاستاذ ورحمة الله وبركاته تحية من عند الله مباركة طيبة وبعد :

(١) أثبتت السنة الصحيحة سنية التكبير دبر كل صلاة في أيام الاعياد كما أنه ثبت بها عدم التشويش على المصلي سواء كان هذا التشويش بالصلاة أو بالذكر أو بالدعاء أو بقراءة القرآن

فما قول فضيلتكم في هذا التكبير عند إتمام صلاة رجل مسبوق تخلف عن

(١) الخلع هو تطليق الزوج زوجته بمقابل شيء من المال . اه من حاشية الاصل

الجماعة بركعة أو أكثر هل يعد التكبير إذا تشويشاً على المصلي أم لا ؟ أفتونا مأجورين جعلك الله حجة للاسلام والمسلمين آمين

وما قولكم بالقضية الاسناد في خطبته صلى الله عليه وسلم وقد أمر من جلس قبل أن يصلي ركعتين تحية المسجد بأن يصلي ركعتين خفيفتين فهلا كانت الخطبة إذاً تعد تشويشاً عليه . ونرجو أن لا تحرمونا من الرد بوجه السرعة سواء بالمنار المضي، أو بخطاب خصوصي باسمنا هدانا الله بكم اليه ؟

حسن محمد قايد

وكيل جمعية الاعتصام بهدي الاسلام بدمياط

(ج) لم يثبت بالسنة الصحيحة سنية التكبير دبر كل صلاة في يومي العيد وأيام التشريق ولكنه مأثور عن بعض الصحابة وزاد فيه الناس : الله أكبر كبيراء والحمد لله كثيراء الى آخر ما هو معروف

وأما ايذاء المصلي برفع الصوت عليه ولو بذكر غير متعين ففي السنة ما يدل عليه وهو متفق عليه عند العلماء ولا يدخل فيه رفع الصوت المتعين شرعا كصوت الخطيب والمؤذن بين يديه يوم الجمعة اذا اتفق وجود من يصلي بالقرب منهما كواقعة السؤال الثانية في حديث الصحيحين والسنن لانه لا يعد إيذاء للمصلي ولا شاغلا له عن الله تعالى أو يقال انه يرجح اذا عد الامران متعارضين لانه الاصل والشعار المطلوب لذاته في وقت أدائه وفائدته عامة لجماعة المسلمين والصلاة وقتئذ مصلحة خاصة بفرد أو أفراد من المقصرين، هي خلاف الاصل حتى قال بعض الفقهاء بأن حديث أمر النبي (ص) من دخل المسجد وهو يخطب بأن يصلي ركعتين خاص بذلك الرجل لا عام ، ومن ذهب أنه عام على الاصل قالوا يخفف فيهما بالاقتصار على الواجبات التي لا تصح الصلاة بدونها ليسمع الخطبة ، والصواب انه عام إذ ورد الامر به في حديث الصحيحين و بتخفيف الركعتين

ولمن أثبت التكبير برفع الصوت عقب الصلوات في العيدين وأيام التشريق أن يقول فيه مثل ذلك أي انه شعار الوقت والمتأخر في الصلاة مقصر فلا يرجح ترك التهويش عليه بمنع الشعار أن يؤدى في وقته كالخطبة و الاذان بين يدي الخطيب قبلها

الخلافة الاسلامية

(٤)

٣٠- الاشتراع الاسلامي والخلافة

نريد بالاشتراع ما يعبر عنه عندنا بالاستنباط والاجتهاد، وفي عرف هذا العصر بالتشريع وهو وضع الاحكام التي تحتاج اليها الحكومة لاقامة العدل بين الناس وحفظ الامن والنظام وصيانة البلاد ومصالح الامة وسد ذرائع الفساد فيها. وهذه الاحكام تختلف باختلاف الزمان والمكان وأحوال الناس الدينية والمدنية كما قال الامام العادل عمر بن عبد العزيز (رض) تحدث للناس أقضية بحسب ما أحدثوا من الفجور، أي وغيره من المفاسد والمصالح والمضار والمنافع. فالاحكام تختلف وان كان الغرض منها واحداً وهو ما ذكرنا آنفاً من إقامة العدل الخ

لا يقوم أمر حكومة مدنية بدون اشتراع ولا ترتقي أمة في معارج العمران بدون حكومة تكفل لها اشتراع عادل بحسب حالتها التي وضعها فيها تاريخها الماضي ، وتمهد لها السبل والمناهج للعمران الراقي ، ولا يصلح لامة من الامم شرع أمة أخرى مخالفة لها في مقوّماتها ومشخصاتها وتاريخها ، كما أنه لا يصلح للغة من اللغات قواعد لغة أخرى في صيغ كلمها وأحكام تأليفها ، إلا اذا أرادت أمة أن تندغم في أمة أخرى وتتحد بها فتكونا أمة واحدة كما اتحدت شعوب كثيرة بالاسلام فكانت أمة واحدة ذات شريعة واحدة ، وأما الشعوب التي تقتبس شرائع شعوب أخرى بغير تصرف ولا اجتهاد فيها تحوله به الى ما يلائم عقائدها وآدابها ومصالحها التي كان الشعب بها شعباً مستقلا بنفسه فانها لا تلبث أن تزداد فساداً واضطراباً ، ويضعف فيها التماسك والاستقلال الشعبي فيكون مانعاً من الاستقلال السياسي وما يتبعه . فشرع الامة عنوان مجدها وشرفها ، وروح حياتها ونمائها ، واعجب ما مني به بعض الشعوب الاسلامية ان ترك شريعة له ذات اصل ثابت في الحق وقواعد كافلة للعدل والمساواة واستبدل بها قوانين شعوب اخرى هي دونها فأصبحوا ولا

امامهم في حياتهم الاشتراعية من أنفسهم بل هم يقتدون فيها بافراد من الاعاجم يقلدونهم بما خسروا به اهم مقومات امتهم واعظم مظهر من مظاهر شرفهم ، وهو الاشتراع

لا تتسع هذه الخلاصة التي نكتبها في هذا البحث لبيان أنواع الحكومات الغابرة والحاضرة وشأنها في الاشتراع ومكان المسلمين فيه ، وانما نقول إن صحفنا العربية تصرح في هذا العهد آناً بعد آخر بأن أحدث أصول التشريع هو أنه حق للامة ، ويظن هؤلاء الذين يكتبون هذا وأكثر من يقرءون كلامهم أن هذا الاصل من وضع الافرنج ، وان الاسلام لا تشريع فيه لبشر لأن شريعته مستمدة من القرآن ، والاحكام المدنية والسياسية فيه قليلة محدودة — ومن السنة والزيادة فيها على ما في القرآن قليلة ومناسبة لحال المسلمين في أول الاسلام دون سائر الازمنة ولا سيما زماننا هذا — وان الاجماع والاجتهاد على استنادهما الى الكتاب والسنة قد انقطعا وأقفلت أبوابهما باعتراف جماهير علماء السنة في جميع الاقطار الاسلامية — وأن هذا هو السبب في تقهقر الحكومات الاسلامية المتمسكة بالشريعة الحقيقية [illegible] الوحيدتين التركية والمصرية الى استبدال بعض القوانين الافرنجية بالشريعة الاسلامية تقليداً لم تشريعاً

ذلك ظن الذين يجهلون أصول الشريعة الاسلامية وأساس الاشتراع فيها الذين لا يفرقون بين الاصطلاح الفقهي والاصطلاح العصري في التشريع فيعمي عليهم الحقيقة اختلاف الاصطلاح : ذلك بأن اسم الدين والشرع قد يستعملان استعمال المترادف وان كان بينهما عموم وخصوص فانهم كثيراً ما يخصون الشرع بالاحكام القضائية أو العملية دون أصول العقائد والحكم والآداب التي هي قواعد الدين ، المتعلقة بصلاح المعاش والمعاد ، ولذلك جعلوا الفقه قسمين عبادات ومعاملات ، والفقهاء يفرقون فيها بين الديانة والقضاء . يقولون يجوز هذا قضاء لا ديانة . وتسمى الاحكام العملية دينا باعتبار أنها يدان بها الله تعالى فتتبع اذعانا لامره ونهيه . وبهذا الاعتبار تطلق كلمة الشارع على الله تعالى ، وأطلقت على النبي (ص) بأنه مبلغ الشرع ومبينه ، ومن العلماء من قال إن الله تعالى أذن له أن يشرع ، والجمهور على أنه مبلغ ومبين لما نزل عليه من الوحي وان الوحي أعم من القرآن

والتحقيق أن هذا كله خاص بأمر الدين وهو ما شرع ليتقرب به الى الله تعالى من العبادات ، وترك الفواحش والمنكرات ومراعاة الحق والعدل في المعاملات تزكية للنفس واعدادالها لحياة الآخرة . ومنها ما في المعاملات من معنى الدين كاحترام أنفس الناس وأعراضهم وأموالهم والنصح لهم وترك الاثم والبغي والعدوان والغش والخيانة وأكل أموال الناس بالباطل. وأما ما عدا ذلك من نظام الادارة والقضاء والسياسة والجباية وتدبير الحرب مما لادخل للتعبد والزلفى الى الله في فروعه بعد حسن النية فيه فقد كان الرسول (ص) في زمنه مشترعا فيه باجتهاده مأمورا من الله بمشاورة الامة فيه ولا سيما أولي الامر من أفرادها الذين هم محل ثقتها في مصالحها العامة وممثلو إرادتها من العلماء والزعماء والقواد وهو كذلك مفوض من بعده الى هؤلاء أنفسهم، ويخلفه لتمثيل الوحدة من يختارونه اماما لهم وخليفة له

والدليل على هذا من الكتاب قوله تعالى (وأمرهم شورى بينهم) وقوله (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) الآية وقوله (واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) ومن السنة ما صح عنه من أن أمته لا تجتمع على ضلالة وما كان يجعله (ص) موضع الشورى من أمور الحرب وغيرها من المصالح الدنيوية — وما أذن فيه من الاجتهاد والرأي عند فقد النص من الكتاب وعدم السنة المتبعة، والحديث فيه مشهور — ومن آثار الخلفاء الراشدين المهديين ما كانوا يستشيرون فيه أهل العلم والرأي من أمور الادارة والقضاء والحرب أيضا وما وضعوه من الدواوين والخراج وغير ذلك مما لم يرد به نص في الكتاب والسنة — ومن أصول الفقه حجية إجماع الامة، واجتهاد الائمة — فكل هذا مما يسمى في عرف علم الحقوق والقانون تشريعاً — وهو ميدان المجتهدين الواسع ، وجرى عليه العمل في خير القرون

فثبت بهذا أن للاسلام اشتراعا مأذونا به من الله تعالى وأنه مفوض الى الامة بقره أهل العلم والرأي والزعامة فيها بالشورى بينهم . وأن السلطة في الحقيقة للامة فاذا أمكن استفتاؤها في أمر وأجمعت عليه فلا مندوحة عنه. وليس للخليفة — دع من دونه من الحكام — أن ينقض إجماعها ولا أن

يخالفه ، ولا أن يخالف نوابها وممثليها من أهل الحل والعقد أيضا . واتفاق هؤلاء اذا كانوا محصورين يسمى إجماعا عند علماء الاصول بشرط أن يكونوا من اهل العلم الاجتهادي . وأما اذا اختلفوا فالواجب رد ما تنازعوا فيه الى الأصلين الاساسيين وهما الكتاب والسنة والعمل بما يؤيده الدليل منهما أو من احدهما ، لقوله تعالى بعد الامر بطاعة الله وطاعة الرسول واولي الامر (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا) أي أحسن عاقبة وما لا مما عداه ، ومنه العمل برأي الاكثر في تشريع قوانين اوربة ومقلديها فشرعنا مخالف لها في هذه المسألة ، ومن وجوه كونه خيرا من غيره واحسن عاقبة ان النزاع بين الامة يزول بتحكيم الكتاب والسنة فيه ، وتطيب نفوس جميع نواب الامة بما يظهر رجحانه بالدليل ، ولا يبقى للاضغان والنزاع محل بينهم . وقد تقدم إثبات سلطة الامة وتمثيل اهل الحل والعقد لها في أول هذه المباحث (رقم ٣ و ٤) بقدر الحاجة العارضة . واما تفصيل القول في هذا فيراجع في تفسير (أطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم) في الجزء الخامس من تفسير المنار

الاشتراع — التشريع او الاستنباط — ضرورة من ضرورات الاجتماع البشري ، ومن قواعد الشرع الاسلامي ان الضرورة لها احكام منها أنها تبيح ما حرمه الله تعالى باذنه في قوله بعد بيان محرمات الطعام (إلا ما اضطررتم اليه) منها نفي الحرج والعسر من الدين ، وانتفاؤهما من قسم المعاملات أولى من انتفائهما من قسم العبادات التي يعقل ان يكون فيها ضرب من المشقة لتربية النفس وتزكيتها إذ لا تكمل تربية بدون احتمال مشقة وجهد . ويسهل هذا الاحتمال نية القربة وابتغاء المثوبة فيه ، وليس في المعاملات شيء من معنى التدين الا ما ذكرنا آنفاء والغرض منه حفظ الانفس والاموال والاعراض ان يعتدى عليها بغير حق ، فمن لم يردعه عن ذلك خوف عقوبة الحكام في الدنيا يردعه خوف عذاب الله في الآخرة ان كان مؤمناً به وبما جاء به رسوله (ص)

فتبين بهذا ان للاشتراع المدني والجنائي والسياسي والعسكري دلائل كثيرة منها قواعد الضرورات ونفي ومنع الضرر والضرار — فلو لم ينص في القرآن على ان امور المؤمنين العامة شورى بينهم — ولو لم يوجب طاعة اولي الامر التبع لطاعة الله

وطاعة الرسول ولو لم يفرض على الامة رد هذه الامور اليهم ويفوض اليهم امر استنباط احكامها — ولو لم يقر النبي (ص) معاذا على الاجتهاد والرأي فيما يعرض عليه من القضايا التي لا نص عليها في كتاب الله ولم تمض فيها سنة من رسوله[1] لو لم يرد هذا كله وما في معناه لكفت الضرورة اصلا شرعيا للاستنباط الذي يسمى في عرف هذا العصر بالتشريع . ووراء هذا وذاك عمل الامة في صدر الاسلام وخير القرون وكذا ما بعدها من القرون الوسطى التي خرجت فيها الخلافة الكافلة للامور العامة عن منهج العلم الاستقلالي فزالا معا لتلازمهما

الخلافة مناط الوحدة، ومصدر الاشتراع، وسلك النظام، وكفالة تنفيذ الاحكام، واركانها اهل الحل والعقد رجال الشورى، ورئيسهم الامام الاعظم ، ويشترط فيهم كلهم أن يكونوا اهلا للاشتراع، المعبر عنه في اصولنا بالاجتهاد والاستنباط ، وقد كان اول فساد طرأ على نظام الخلافة وصدع في اركانها جعلها وراثية في اهل الغلب والعصبية، واول تقصير رزيء به المسلمون عدم وضع نظام ينضبط به قيامها بما يجب من امر الامة ، على القواعد التي هدى اليها الكتاب والسنة فلما تخلفنا عن هذا وذاك تفلت الخلفاء من سيطرة اهل الحل والعقد الذين يمثلون الامة ، واعتمادهم على اهل عصبية القوة ، التي كان من اهم اصلاح الاسلام لامور البشر ازالتها ، فصار صلاح الامة وفسادها تابعاً بذلك لصلاح الخليفة واعوانه اهل عصبيته، لا لممثلي الامة ومحل ثقتها من اهل العلم والراي فيها ، والغيرة والحدب عليها

ثم ترتب على ذلك شعور الخلفاء بالاستغناء عن العلم، وعدم شعورهم بالحاجة اليه وترك التمتع باللذات اشتغالا بالتحصيل رتبة الاجتهاد فيه ، ورأوا أنه يمكنهم الاستعانة بالعلماء الذين يتقلدون مناصب الوزارة والقضاء والافتاء وغيرها من الاعمال التي يحتاج فيها الى استنباط الاحكام — فتركوا العلم ثم جهلوا قيمة العلماء فصاروا يقلدون الجاهلين من أمثالهم للاعمال، ووجدوا فيهم من يفتي بعدم اشتراط العلم الاستقلالي (الاجتهاد) في إمام المسلمين ولا في القاضي

(١) رواه احمد وأبو داود والترمذي مرسلا ويؤيده ما اسنده البخاري من حديث عمرو بن العاص وتابعه عليه أبو هريرة وأبو سلمة (رض) « اذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله اجران واذا حكم فاجتهد فاخطأ فله اجر »

لامكان استماتتها بالمفتي الذي لا يكون الا مجتهداً، ثم عم الجهل فصاروا يستفتون الجاهلين (أي غير المجتهدين) أمثالهم، ثم أذاع هؤلاء الجاهلون الذين احتكروا مناصب الدولة وأموالها أن الاجتهاد قد أقفل بابه، وتعذر تحصيله، وأوجبوا على أنفسهم وعلى الامة تقليد أفراد معينين من العلماء والانتساب اليهم، ثم صاروا يقلدون كل من ينتمي اليهم مع الاجماع على امتناع تقليد المقلد — فضاع علم الاحكام، وفقدت ملكة الاشتراع والاستنباط بالتدريج، والامة لا تشعر، فلما صار أمر الحكومة في أيدي الجاهلين ضاعت الشريعة والاشتراع واختل نظام الامة وانحل أمرها وتضعضع ملكها، وقع كل ذلك بترك اصول الاسلام وفروعه والجاهلون يحسبون انه وقع باتباع تعاليمه!!

قال القاضي أبو علي محسن التنوخي[1] في كتابه (جامع التواريخ) حدثني أبو الحسين بن عياش قال: كان أول ما انحل من سياسة الملك فيما شاهدناه من أيام بني العباس ـ القضاء ـ فان ابن الفرات (الوزير المشهور) وضع منه وأدخل فيه قوما بالزمامات[2] لا علم لهم ولا أبوة فما مضت الا سنوات حتى ابتدأت تتضع وتقلدها كل من ليس لها بأهل حتى بلغت في سنة نيف وثلاثين وثلاث مئة الى أن تقلد وزارة المتقي أبو العباس الاصبهاني الكاتب وكان في غاية سقوط المروءة والرقاعة — (الى أن قال) وتبع سقوط الوزارة اتضاع الخلافة وبلغ صيورها الى ما نشاهد فانحلت دولة بني العباس بانحلال القضاء، وكان أول ماوضع ابن الفرات من القضاء تقليده إياه أبا أمية الاحوص الغلابي البصري — وذكر أنه إنما قلده لموعدة وعدها إياه اذ أوى اليه واختفى عنده في أيام محنته

وأقول ان ابن الفرات كان من أقدر الوزراء وأعلمهم بشؤون الملك والسياسة وكان حسن السيرة وانما جرأه على مثل هذا جهل الخليفة وانصرافه الى اللهو واللعب ثم التلذذ بالاسراف في اللذات فانه ولي وله ثلاث عشرة سنة قال الحافظ الذهبي: اختل أمر النظام كثيرا في أيام المقتدر لصغره. يعني ان الخلل قد

(١) المتوفى سنة ٣٨٤ (٢) هذا نص النسخة المطبوعة حديثا. ومن معاني الزمالة في اللغة الجبن وهو قد ولي أبا الاحوص القضاء محبة ومكافأة على معروف كما نص عليه الكتاب،

طرأ قبله من أيام المتوكل بن المعتصم اذ كان قد اشتد عيث الترك الذين استكثر منهم المعتصم وجعلهم عدة الخلافة وسياجها فكانوا هم الذين دكوا بنيانها وهدموا أركانها. والعلة الاولى لهذا كله بدعة ولاية العهد التي استدلوا عليها باستخلاف أبي بكر لعمر (رض) فجعلتها القوة حقاً لكل خليفة وان كان متغلباً لا يعد من أئمة الحق ، و لم يراع ما راعاه ابو بكر من استشارة أهل الحل والعقد ، وقد بينا بطلان هذا في المسألة التاسعة من هذا البحث

فعلم بهذا القول الوجيز أن التساهل في بعض شروط الخلافة التي عليها مدارها — وهي العلم الاستقلالي والعدالة والشورى في نصب الامام وفي تصرفه — قد كان معلولا للتغلب وعلة لفقد الاشتراع — الاستنباط — الذي لا يقوم أمر الدولة ولا يطرد ارتقاؤها ولا حفظها بدونه — فكان هذا علة لضعف الدولة، وكان ضعف الدولة علة لضعف الامة ، اذا صارت تابعة للدولة لا متبوعة ، وكان فساد أمرها مساعدة لتغيرات كثيرة في الاحوال الاجتماعية وشؤون المعيشة تقتضي أحكاما شرعية أخرى غير التي كان الامر عليها قبلها، او تعود الامامة الحق الى نصابها

ونحمد الله ان ظهر لاركان الدولة التركية التي تنحل منصب الخلافة ان الدولة العثمانية كانت فاسدة وانها لم تكن بعد دعوى الخلافة خيرا من قبلها، بل لم تلبث ان دب اليها الخلل والضعف بالتدريج في كل من أمور الدين والدنيا حتى صار كثير من نابتتها المتفرنجين يصرحون بأن الاسلام هو الذي جنى عليها وان حكم الخلافة هو الفاسد الذي لا يمكن صلاح حالها معه، فتسنى لنا ان نبين لها وللعالم الاسلامي الذي كان اكثره مفتونا بها أنها لم تكن قائمة على اصول الشريعة في الخلافة، وأن نبين حقيقة الخلافة وشكل الحكومة الاسلامية الحق وخطأ جمهور اعضاء المجلس الوطني الكبير في رأيهم وعملهم فيها، ونثبت بالدلائل ان اصول الحكومة الاسلامية ارقى من اصول سائر حكومات الامم، بجمعها بين دفع المفاسد وحفظ المصالح المادية، وبين الحق والعدل والفضائل التي يتهذب بها البشر وتكمل الانسانية ، وأن ندعو هذه الامة التركية الاسلامية الى اقامة حكومة الاسلام كما أمر الله ورسوله وخلفاؤه الراشدون خير أمة أخرجت للناس ولو كره المتفرنجون (ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة وان الله سميع عليم)

٣١ـ مابين الاشتراع وحال الامة من تباين وتوافق

وضع الاسلام قواعد عامة لانواع المعاملات الدنيوية راعى فيها هداية الدين وتقييد حكومته بالتزام الفضائل واجتناب الرذائل، فلم يجعل ما فوض الى أولي الامر فيها من الاستنباط — الاشتراع — مطلقا من كل قيد لئلا يجنوا على آداب الامة خطأ في الاجتهاد، أو اتباعا للهوى اذا غلب عليهم الفساد، فحرم الربا الذي كان فاشياً في الجاهلية، لما فيه من القسوة والبخل والطمع الذي يحمل على استغلال ضرورة المحتاج، كما حرم الغش والخيانة، وجعل الامة متكافلة بما أوجب من النفقة على القريب، والزكاة لازالة ضرورة الفقير والمسكين، ولغير ذلك من المصالح العامة ، وجعل لكل امرأة كافلا يقوم بأمرها من زوج أو قريب؛ والا فالامام الاعظم أو نائبه، لئلا تضطر الى ما يشق عليها القيام به من الكسب مع قيامها بوظائفها الخاصة بها من الحمل والوضع والرضاعة وتربية الاطفال — فيكون اضطرارها الى الحياة الاستقلالية سببا لقلة النسل ولغير ذلك من المفاسد

وقد كان من تأثير ضعف الدين في الشعوب الاسلامية وحكوماتها أن ترك كل منهما مراعاة ما يجب عليه من تلك القواعد والتزام أحكامها فترتب على ذلك احتياج كل منهما الى ارتكاب بعض المحظورات كارها إما اضطرارا وإما اختيارا ترجح فيه المصلحة على المفسدة رجحانا ظاهرا

هذا الاحتياج الذي يدفع صاحبه الى ارتكاب المحرم اذا لم يجد له مخرجا لا يعرض في الاقراض كما يعرض في الاقتراض ، فكان من أثره أن المسلمين لم يجدوا من يقرضهم الا من غيرهم، إما من اهل ذمتهم وإما من الاجانب عنهم، كالمعاهدين الذين يكونون في بعض الاحيان حربيين ، وهذه مفسدة أخرى . هي ذهاب ثروة المسلمين الى غيرهم ، وناهيك بذهابها الى أعدائهم ، وحاجتهم اليهم في أهم مصالحهم ،

ثم إن توسع الفقهاء في مسائل الربا وادخالهم فيها ما لم يكن معروفا في عصر الوحي — وتضييق أكثرهم في أحكام العقود المالية — ولستحدثات الامم التي يتعاملون معها لانواع كثيرة من العقود والمعاملات — وترقي العلوم

الاقتصادية والاعمال المالية الى درجة قضت بتفوق متبعي قواعدها ونظمها على غيرهم في الثروة والقوة والسيادة — كل أولئك كان دافعاً في صدور المسلمين ورافعاً لغيرهم عليهم حتى في ديارهم، بل هو أظهر العلل لسلب جل ملكهم منهم، و السيطرة عليهم فيما بقي لهم شيء من السيادة فيه، ولاعتقاد أكثر الذين يعرفون أحوال هذه الامم العزيزة في علومها وأعمالها ويجهلون أصول الاسلام — ان الاسلام نفسه علة ضعف المسلمين بما في شرعه من الجمود على أحكام عتيقة مالية واجتماعية توجب فقر ملتزميها وكل ما يجره الفقر في الامم من الذل والضعف وفقد الملك

بدأت بضرب المسألة المالية مثلا لما طرأ على كثير من البلاد الاسلامية من تأثير ترك العمل بأحكام الشريعة الغراء، اذ كان المال قوام حياة الامم والدول في كل زمان، وصار له من الشأن في هذا الزمان مالم يكن لهم من قبل ولا سيما عصر النبي (ص) الذي كانت فيه الامة قليلة الحاجات، وغير مرتبطة في حياتها بمعاملات الامم الاخرى، ولكن عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم قد انزل في ذلك المصرف قرآنا (ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما) فأرشدنا به الى مكانة المال من حياة الامم ونظام أمرها وكونها لا تقوم الا به، وحثنا على المحافظة عليه، وعدم تمكين السفهاء من التصرف فيما هو ملك لهم منه، كما أمرنا في آيات اخرى بالاقتصاد ونهانا عن الاسراف والتبذير، وذمه كما ذم القمار غول الثروة بما أفاد تحريمها وتحريم القمار بانواعه في الدين، فهل يمكن أن يقال إن مقتضى شرع هذا الدين أن يكون اهله فقراء، وأن يكون ما به قيام معاشهم وعزة امتهم ودولتهم في أيدي الطامعين فيهم من الامم الاخرى! واذا كان هذا مخالفا لهدي هذا الدين فما بال المشتغلين بعلم الشرع فيه أجهل أهل بلادهم بالفنون المالية، وما يرتبط بها من الامور السياسية؟ ولا يجعلون هذه الفنون مما يتدارسونه في مدارسهم الدينية؟! السبب لهذا انه ليس لهم حكومة اسلامية تطلبه منهم لتكون احكامها وميزانيتها موافقة لحكم الشرع

واضرب لهم مثلا آخر ميل بعض المسلمين في مصر والترك الى التعاليم الاشتراكية بل قيامهم بتأليف الاحزاب لها والدعوة اليها، وسواء كان ذلك

اقتناننا بتقليد الفرنجة أو شعورا بما يشعر به الاشتراكيون في أوربة من تأثير أثرة ارباب الاموال على العمال وغيرهم من اهل الاملاق - فلو كانت الشريعة الاسلاميـة نافذة الاحكام ، والهداية التي يتبعها الخواص والعوام ، لما شعر بالحاجة الى التعاليم الاشتراكية احد من اهلها ، بل لرأى الاشتراكيون من الامم الاخرى انه يجب حل المسألة الاجتماعية بها ، ولكان ذلك سببا لاهتداء كثير منهم الى الاسلام ودعوتهم اليه

ومالي لا اذكر من المثل في هذا المقام دعوة كثير من النساء والرجال في مثل هذه البلاد الى تربية المرأة تربية استقلالية تساوي بها الرجل في كل شيء حتى لايكون فيما عليها في شيء . سبق الاسلام جميع الملل الى المساواة بين الرجال والنساء في الشؤون الزوجية لاهذه الدرجة بقوله تعالى (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة . وهي الرياسة التي [illegible] في قوله (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم) فجعل سببها تفضيلهم عليهن بالقوة على الكسب [illegible] وبما فرض لهن عليهم من المهر والنفقة . افرأيت لو ان افراد المسلمين [illegible] هذه الشريعة فساوى الرجال النساء بأنفسهم في كل شيء [illegible] الرياسة العامة كالامامة العظمى وإمامة الصلاة ، وكرموهن كما اوصاهن الرسول (ص) أكانت النساء تشعر بالحاجة الى اعداد انفسهن للكسب وغيره من اعمال الرجال الشاقة ؟ أم يفضلن ان يعشن في هناء وراحة يتمتعن من كسب الرجال في ظل كفايتهم وكفالة الشريعة التي تنفذها حكومتهم بما لا يتمتع به الرجال انفسهم ؟ فان المرأة تأكل من كسب الرجل ما يأكل وهي المدبرة لامر ما كله ، ولكنها تفضله بما تلبس من الحلل وما تتزين به من الحلي ، فان كان ثم غبن فالرجل هو المغبون

وجملة القول في هذا المقام أن ترك العمل والحكم بالشريعة في بعض المسائل يفضي الى ترك بعض آخر منها أو يفضي الى جملته متعذرا اذ يصير مفسدة بعد ان كان في الاصل عين المصلحة ، ثم يؤثر ذلك في افكار الامة واخلاقها وعاداتها حتى تنقلب بتغيير عظيم في مقوماتها ومشخصاتها . فالشر والخير والباطل والحق كل منها يقوي جنسه ويزيده ، وقد فقدت الامة الاسلامية مايصونها من ذلك التدهور والهوي ، وينصب لها معارج الرقي ، ويستنبط لها من الاحكام

في كل زمن ما يليق بحالها ، مبنيا على قواعد الشريعة الهادية لهم الى كمالها ،

ذلك بأن الاستنباط (الاشتراع) الذي أذن به لاولي الامر من المسلمين قد فقد بفقد جماعتهم ، وزوال الامامة الحق المنفذة لاستنباطهم ، كما علم ذلك من المسائل ٣ و ٤ و ٥ و ١٧ من هذا البحث ، ومن بقي يشتغل بعلم الاحكام الشرعية الاسلامية فقصارى أمر جمهورهم مدارسة الكتب التي ألفت للازمنة الماضية التي كانت دار الاسلام فيها ذات استقلال ومنعة وبيت مال غني كاف لكفالة المعوزين والغارمين وغير ذلك من النفقات الشرعية — فهؤلاء لا يستطيعون أن يفتوا بما يخرج عن قواعد مصنفي تلك الكتب لتلك الازمنة وحكوماتها التي كانت تلتزم العمل بها ، بل قرروا فيها وضعوه من الشروط للافتاء أن يلتزموا فروع كتب معينة لا يتعدونها ، لان تعديها ضرب من الاجتهاد ولو في المذهب ، وقد قرروا منعه كالاجتهاد المطلق

ومنتهى ما يرجى من توسعهم على الحكومة التي تريد العمل بأحكام الشريعة أن يستخرجوا لها ما يعمل به الموافق للمصلحة العامة في هذا الزمان من كتب المذاهب المتبعة ، بل الذين حرموا عليهم الاجتهاد والاستنباط من أصول الشريعة والاقتباس من مصباحها مباشرة قد أوجبوا عليهم تقليد مذاهب معينة « كما قال صاحب جوهرة التوحيد « فواجب تقليد حبر منهم » يعني الائمة المشهورين في الفقه ، فاعتمدوا هذا التحريم والتحليل ممن ليس بأهله . وانما أجازوا تقليد غير الاربعة من المجتهدين للعالم بذلك في خاصة نفسه ، دون الافتاء به لغيره ، كما قال بعضهم

وجائز تقليد غير الاربعة   في غير إفتاء وفي هذا سعة

مثال هذه التوسعة في أصول المعاملات أن القاعدة عند أكثر الفقهاء المشهورين أن الاصل في العقود البطلان فلا يصح منها الا ما دل الشرع على صحته ، وذهب آخرون الى أن الاصل فيها الصحة الا ما دل الكتاب أو السنة على بطلانه ، لقوله تعالى في أول سورة المائدة وهي آخر ما نزل من السور (يا أيها الذين آمنوا اوفوا بالعقود) والعقود ما يتعاقد الناس عليه ، فهذا المذهب أقوى دليلا ، وأقوم قيلا ، وأهدى سبيلا ، بما فيه من التوسعة على الناس وهو الذي رجحه المحققون من الحنابلة

ألم تر أنه لما شاءت الحكومتان العثمانية والمصرية أن تخرجا عن مذهب الحنفية في بعض أحكام النكاح والطلاق وفسخ النكاح في بعض الاحوال وتأخذا فيها بما تقرر في المذاهب الاخرى ابانها شيوخ الفقه ووضعوا لها قوانين في هذه الابواب مقتبسا بعضها من المذاهب الثلاثة الاخرى ولعلهما لو شاءتا الاخذ في بعض الاحكام بأقوال غير علماء المذاهب الاربعة من الصحابة والتابعين وأئمة العترة لما أبوا مواتاتهما، فان الجمود على مذهب معين لم يكن الا تحقيقاً لرغبة الامراء والسلاطين ، والاسترزاق من الاوقاف التي زمامها بأيديهم ، فالذنب فيه مشترك بينهم وبين الفقهاء الذين رأوا فيه منفعة لهم . وأما الذي لا يجرأ عليه هؤلاء المتفقهة فهو الاستنباط من الكتاب والسنة ، وقواعدهما العامة ككون الضرورات تبيح المحظورات ، وكون ماحرم لسد الذريعة يباح للمصلحة الراجحة . وان نص أئمتهم على هذه القواعد لان هذا عندهم من الاجتهاد الممنوع

والحق أن العلم الاستقلالي (الاجتهاد) لم ينقطع ولن ينقطع من هذه الامة المحمدية والا لبطلت حجة الله على الخلق بفقد حملتها والدعاة اليها والذابين عنها ، ولما صح من خبر المعصوم من عدم اجتماعها على ضلالة، ومن انه لا يزال فيها طائفة ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله ، ولكن هؤلاء العلماء المستقلين كانوا ينتسبون في كل عصر من اعصار غلبة الجهل الى المذاهب التي نشأوا عليها قبل الاجتهاد لسببين (احدهما) انهم لم يكونوا يجدون رزقا يتمكنون به من الانقطاع للعلم الا من الاوقاف المحبوسة على المشتغلين بهذه المذاهب فيضطرون الى تدريس كتبها والتصنيف فيها ليحل لهم الاكل مما وقف على أهلها (وثانيهما) ان الملوك والحكام وأعوانهم من المقلدين كانوا وما زالوا حربا للعلم الاجتهادي الذي يفتضحون به، ويظهر جهلهم وضلالهم بظهوره، فاذا وجدت حكومة اسلامية جريئة كالحكومة التركية الحاضرة تحيي العلم الاجتهادي فانها تجد منذ الآن سدادا من عوز لما تحتاج اليه من الاحكام والتعليم في المدرسة الاجتهادية التي اقترحنا انشاءها في المسألة (رقم ٣٦) على ان مقلدة المذاهب لا تكاد تطلب الحكومة منهم شيئا الا وتجد فيهم من يفتيها ولو بالتأويل والخروج عن صحيح المذهب

اذاً لايمكن خروج الامة الاسلامية من جحر الضب الذي دخلت فيه الا بالاجتهاد ووجود المجتهدين وما يلزمه من وجود الاجماع الاصولي الذي هو احدى الحجج عندالجمهور وان شئت قلت هو ركن الاشتراع الركين الذي لايمكن أن ترتقي أمة ولا ينتظم امر حكومة بدونه كما قلنا في صدر هذه المسألة ، بل وجود الامامة الحق يتوقف على هذا الاجتهاد كما علم مما تقدم. وان اجتماع المجتهدين في هذا العصر ممهد السبيل موطأ الاكناف لامكان العلم بهم ودعوتهم الى الاجتماع في مكان واحد اوعرض المسائل عليهم أينما وجدوا، وهذا لم يكن ممكنا في عصر أبي حنيفة ومالك والشافعي واحمد ومن بعدهم ولذلك قال بعض المحققين : ان العلم بالاجماع ان وجد غير ممكن

٣٢ — تأثير الامامة في اصلاح العالم الاسلامي

العالم الاسلامي في غمة من امر دينه وأحكام شريعته ، تتنازعه أهواء حكامه المختلفي الاديان والمذاهب وآراء علمائه ومرشديه المختلفي المذاهب والمشارب ، ومساويء اعدائه في دينه ودنياه ، وليس له مصدر هداية عامة متفق عليه فيرجع اليه فيما عمي عليه ، وكلما ظهر فيه مصلح هب أهل الاهواء المفسدون يصدون عنه ، ويطعنون في دينه وعلمه ، ولا علاج لهذه المفاسد والضلالات إلا إحياء منصب الامامة ، وإقامة الامام الحق المستجمع للشروط الشرعية ، الذي يقوم مع أهل الحل والعقد بأعباء الخلافة النبوية ، فانه هو الذي يذعن كل مسلم لوجوب طاعته فيما يصدر عنه من أمور الاصلاح العامة بقدر الاستطاعة، ويرجح ارشاده على ارشاد غيره في الامور الخاصة ، اذ يكون اجدر ببيانها بالحجة الواضحة، فاذا لم تكن الامامة كذلك كان حكم الشرع فيها أنها سلطة تغلب ، ولا تجب طاعة المتغلب شرعا ولو فيما وافق الشرع الا على من هو متغلب عليهم، فقد كان السلطان عبد الحميد يدعي الخلافة ولما لم يكن مستجمعاً لشروطها ولا قائما بواجباتها لم يكن مسلمو الافغان واليمن ونجد والمغرب الاقصى يؤمنون بصحة خلافته، ولا يعتقدون وجوب طاعته، فيجعلوا حكوماتهم تابعة لدولته. بل لم يكن أهل مصر الذين كانوا تحت سيادته السياسية معترفين بخلافته يقبلون أن يكون له عليهم أمر ولا نهي ، وانما كان اعترافهم أمرا صوريا معنويا

يتوكؤن عليه في مقاومة السيطرة البريطانية عليهم ، كما هو شأنهم وشأن أمثالهم في الاعتراف بالخلافة الاسمية الحديثة في الآستانة على ما بيناه في موضعه من هذا البحث، وهذه الخلافة الحديثة لا تبلغ درجة التغلب فان الذين ابتدعوها لم يجعلوها ذات أمر ولا نهي في حكومتهم

وأما اذا نفذ ما اقترحناه وبينا طريقه من اقامة الامامة الحق ، ولو في بقعة صغيرة من الارض ، فان جميع العالم الاسلامي يذعن لها اذعانا نفسيا منشؤه العقيدة الدينية ، ولا نجد حكومة من الحكومات الاسلامية مجالا للطعن فيها ، ولا يكون لاحد من المصلحين الاجانب سبيل لانكارها ، وحينئذ يسعى كل شعب اسلامي للاعتصام بها ، فالشعب الذي لا يستطيع أن يتبع حكومة الامام الحق لقهر دولة قوية له يجتهد ويتحرى أن يتبع جماعة المسلمين وامامهم كما أمره الله ورسوله فيما لا تسيطر حكومته عليه فيه من نظام التربية الدينية والتعليم الاسلامي والاحكام الشخصية، بل قد تضطر كل حكومة مسيطرة على شعب اسلامي أو اكثرها أن تستعمله بقدر ما تحتاج اليه من الوحدة والرأي العام بموادة خليفة تبيه والصياح له ، ولن يتعدى الارشاد الديني من قبله كما هو شأن الكاثوليك مع البابا

ولعل هذا بعض ما يقصد اليه الترك من إيجاد خليفة روحاني كالبابا والبطاركة عند النصارى ، ولكن المسألة دينية شرعية يجب فيها الاتباع ، ولا يمكن أن تنجح بالمواضعة والابتداع ، وان كان يود ذلك الكثيرون ممن يقدمون السياسة على الدين ، وقد جهل هذا بعض الذين أظهروا استحسان عمل الترك وتجاهله بعض آخر أو غفل عنه ، وظن كل منهم ان هذا كاف في حصول ما يرغبون فيه من نكاية اعداء الاسلام وغيظهم ، وشد ازر الشعب التركي ومؤازرته عليهم ، وذلك ظن الجاهلين بشؤون العالم وسياسة الدول ودرجة اختبارها كما نبينه في المسألة التالية

لعلنا من ادرى الناس بما يترتب على اقامة الامامة الحق من الاصلاح في العالم الاسلامي بما لنا من الاختبار ، وكثرة ما يرد علينا من الرسائل والمسائل من الاقطار ، ومن احدثها سؤال ورد من قطر اسلامي عن اقل ما يكون به الانسان الجاهل الاعجمي مسلما لان اهله اجهل واضل من مسلمي (بنكوك

— سيام) الذي وصف لنا سوء حالهم من سألنا عن صحة اسلامهم ونشرناه في المنار من قبل . وقد بقي عند كل منهما بقية ممن يدعي العلم يحفظون من مذهب الامام الشافعي (رض) احكاماً اجتهادية يحتمون على الناس العمل بها في صلاة الجمعة وغيرها فأدى ذلك الى ترك صلاة الجمعة فترك صلاة الجماعة من بعضهم بل الى ترك الصلاة ممن يعسر عليهم حفظ الفاتحة وتجويدها باخراج الحروف من مخارجها وتشديد المشدد منها ولا سيما الياء في (إياك نعبد وإياك نستعين) فان تخفيف المشدد فيها مبطل للصلاة عند الشافعية

ومن احدثها سؤال بعض اهل العلم في جاوه عن حكم ما جروا عليه بأمر حكامهم المسلمين من إلزام كل من يتزوج بأن يطلق المرأة التي يعقد عليها عقب العقد طلاقاً معلقاً على التقصير في النفقة عليها او ضربها او على الغيبة عنها وتركها بغير نفقة بالصفة التي يرى القارئ بيانها في باب الفتوى من المنار

ان كثيراً من اهل العلم الساعين لاصلاح حال المسلمين في الاقطار المختلفة يعملون بما ننشر في المنار من الحقائق الدينية بالادلة التفصيلية، ويسألنا بعضهم عما يعرض عليه مما لم ير حكمه فيه وعند هؤلاء وامثالهم معارضين في بعض البلاد من مقلدة بعض المذاهب المخالفين لمذهبهم، ولكنهم لا يهتمون بنشر مذاهبهم وحمل الناس عليها ، بل يتركونهم فوضى في امر دينهم لا يبالون بتركهم للفرائض ولا باقترافهم لكبائر المعاصي، وانما يهتمون بمعارضة بعض المسائل التي تخالف مذهبهم كصلاة الجمعة بما دون اربعين رجلاً حراً بالغاً مقيماً في داخل سور البلد لا يظعن عنها، وان ادت هذه المعارضة الى ترك الجمعة البتة. فاذا صار للمسلمين امام وجماعة من اهل العلم الاجتهادي والعدالة يستمد منهما دعاة الاصلاح العلم والارشاد ، فانه لا يلبث ان يعم ذلك مسلمي جميع البلاد

وقد سبق لنا ان اقترحنا في المجلد الاول من المنار ضروباً من الاصلاح على مقام الخلافة الاسلامية الرسمي — وان كانت خلافة تغلب — لان بلادنا كانت خاضعة لحكمه ، ونود أن يقوم بالحق بقدر طاقته ، فكان جزاؤنا على مثل هذا الاقتراح منع المنار أن يدخل البلاد العثمانية ، وإيذاء اهلنا واصدقائنا في الديار السورية

ولا غرو فذلك الخليفة نفسه كان جاهلاً بأصول الدين وفروعه وبما يصلح به حال المسلمين ويفسد ، واعوانه جهلاء واصحاب اهواء ، فهم لا يبلغونه امثال

تلك الاقتراحات ، واذا ذكروها له شوهوها ، وجعلوا حقها باطلا ، وصلاحها فسادا ، وهو يصدقهم ، ولا يطمئن لخبر غيرهم ، وفاقد الشيء لا يعطيه

وجملة القول ان الجهل الغالب على اكثر المسلمين والتعصب المذهبي المفرق للكلمة بين المتعلمين للدين منهم لا يمكن تلافي ضررهما في زمن قصير الا باقامة خلافة النبوة على وجهها الذي لا يسهل على احد ان يماري فيه مراء ظاهرا ، ويكفي ان يعتقد صحتها السواد الاعظم من المسلمين لموافقتها لمذاهبهم وهم المنتمون الى مذاهب أهل السنة والزيدية من الشيعة والاباضية من بقايا الخوارج ، وهؤلاء اذا كانوا لا يشترطون في الامام ما يشترطه أهل السنة والزيدية من النسب فهم لا يشترطون عدمه ، ومالنا لا نتحرى فيه المذهب الذى يستلزم غيره كاستلزام مذهب الزيدية لمذهب السنة والخوارج استلزام الاخص للاعم والمقيد للمطلق ؟

ان هذا هو القول الحق الذى تقوم به المصلحة الاسلامية العامة وما عداه مما يقبله أتباع كل ناعق بباعث السياسة الحاضرة فهو غثاء ، وسيذهب جفاء ، ومنه يعلم أن ما تريده حكومة أنقرة باطل في نفسه ، ولا يفيد العالم الاسلامي أقل فائدة بل قد كان سببا جديدا الآن للشقاق في الشعب التركي الذى يرجح جمهوره الهداية الاسلامية ، على نظريات القوانين والتقاليد الافرنجية ، فان في مجلس الجمعية الوطنية حزبا كبيرا يرى أن المصلحة تقضي بوضع الخليفة في الموضع الذي وضعته فيه الشريعة بأن يكون هو رئيس الحكومة والمنفذ للاحكام . نعم ان حزب الغازي مصطفى كمال باشا المصر على رفض كل سلطة شخصية في الحكومة التركية العليا سواء كانت باسم الخلافة أو غيرها هو صاحب القلب في المجلس الحاضر ولكن سبب ذلك تأثير هذا الرجل وحزبه من قواد الجيش في الانفس بما لهم من المنة في انقاذ الدولة من الخطر — لا أن هذا هو رأي الامة التركية ، ولو استفتيت الامة استفتاء حرا لخالفت هذا الحزب في هذه المسألة . هذا هو الحق

وسيعلم العالم الاسلامي أننا قد قمنا بهذا البيان بما أمرنا الله تعالى به من التواصي بالحق والتواصي بالصبر ، وبالنصيحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم ، فيرجع الى رأينا من يخالفه اليوم كما رجعوا الى رأينا في السلطان عبد الحميد ثم في جمعية الاتحاد والترقي . والعاقبة للمتقين .

وصف ثورة الهند السياسية السلبية

وانتصارها للخلافة والدولة التركية والبلاد العربية (*)

(٣)

وانه لتقل أمثلة تلك الجرأة والشهامة والشجاعة التي أبداها طول هذه المدة، فانه ما زال قبل سجنه يدعو الحكومة الى القبض عليه بمخالفتها ونبذ طاعتها فما حذرت عملا من الاعمال الوطنية الا وبادر الى اعادته صائحا « ان كان هذا العمل جناية وذنبا عند الحكومة، فها أنا ذا فاعله، فلتعاقبني ! » ولكنها ما زالت تغض الطرف عنه وتهاب جانبه، لانها تعلم أن الامة كلها معه وأن التعدي عليه يزيد الطين بلة — غير أنها اضطرت أن تسجنه أخيرا للائحة سنتها وليس في وسعها سحب قوانينها الجائرة ولا أن تسكت عن نابذيها —

« الخطابة والخطاب »

ان خطاب هذا الزعيم سيسجل في تاريخ الحرية والجهاد للامم، إذ هو آية عظيمة من آيات الصدع بالحق وتشنيع الباطل وتقبيح الاستبداد، ومثل عال للجرأة والشجاعة والثبات على الحق كالجبال الراسيات، ولا سيما الامور الآتية منها، التي تستحق الاعتبار والتدبر فيها، وهي :

(١) ان تاريخ الجهاد الوطني في كل البلاد يروي لنا أن الناس كانوا بادىء ذي بدء يجاهرون بمقاومة القوات المستبدة والحكومات الجائرة، بكل جرأة وشجاعة، حتى اذا أخذتهم الحكومة وأرادت معاقبتهم، يجتهدون في تبرئة أنفسهم، فاما أن يقولوا عن أعمالهم إنها كانت قانونية، لاجئين الى تلك القوانين التي

*) تابع لما في الجزء الثاني

شهدوا بجورها وظلمها، واما أن يأولوا أعمالهم بتأويلات تخفف جنايتهم في نظر الماقبين ، والناس عامة لا يرون في ذلك بأساء فيجوزونها قائلين إن هذه سياسة وخدعة و « الحرب خدعة » فلا بأس أن يحافظ الانسان على نفسه ، ويدفع شر الاعداء بكل ما أمكن ، ولـكن صاحب الخطاب سلك مسلكا آخر ، فصرح في خطابه بأنه ليس من الحق والصدق أن ينكر الانسان أمرا صحيحا وحقيقة ظاهرة ، فان الحكومة كانت أخذت عليه أنه يغر الناس عنها ويقول في خطبه إنها ظالمة جائرة ، ويحرضهم على مقاومتها ومحاربتها ، فلم ينكر شيئا من هذا ، بل اعترف به جميعا بكل جرأة وصراحة ، بل قال : أكثر مما نسب اليه —

(٢) قال في خطابه إن النزاع قد قام بين الحق والباطل ، وان الباطل سيفعل ما كان يفعله أمس بالحق وأنصاره ، فيجب على أولئك الذين رفعوا أصواتهم في حماية الحق مع علمهم بقوة الباطل وتحكمه فيهم أن يتحملوا بدون أدنى وجل ولا اضطراب تلك النتائج التي لا مناص منها في هذه السبيل ، وان كانوا يشكون ويتمللون فليس لهم أن يدخلوا في هذه المعمعة الخطرة

(٣) قد صرح أمام القضاة بكل ما كان يصرح به أمام الامة بدون أدنى خشية ولا وهن في ساعة كانت حياته بيدهم وكل كلمة من أفواههم كانت كافية للقضاء عليه ، غير أنه لصلابته في ايمانه ورسوخه في التوكل على الله وحده ، لم يبال بهذا الخطر العظيم المحدق به ، بل احتقره وآثر الحق على نفسه وحياته !

(٤) ان العبرة الـكبيرة التي أوجه نظر المطالعين اليها هي أن الامم الجامعة تتأثر من الاسوة العملية أكثر من الخطب والمواعظ ، فانها عندما ترى أمام أعينها الامثلة الصادقة للشجاعة والحرية والاستقامة وعدم الخوف ، يتجدد فيها هذا الروح ، فعلى زعماء الامم وأبطالها أن يقدموا أمثلة لايثارهم وثباتهم كهذا المثال والا فلا طائل تحت بلاغة الخطابة واعادة الدعاوي والالفاظ .

﴿ الى اخواننا في الشام ، والعراق ، ومصر ، وسائر البلاد الاسلامية ﴾

اخواني: ان هذه نبذة يسيرة من تلك المساعي التي تبذلها الهند لصون الخلافة الاسلامية واستقلال بلادكم الاسلامية والعربية ، على معارضة الموانع الآتية:

(١) ان الهند تبعد عن هاتيكم البلاد بعداً شاسعاً وتحول بينهما البحار الزاخرات.

(٢) ان أهل الهند لايضرهم احتلال هاتيكم البلدان واستعمارها ضرراً ماديا ، ولا ينفعهم استقلالها نفعاً شخصياً ، بل ان مصالحهم الحالية ، ومقاصدهم الوطنية ، تقتضي الاعراض عن غيرهم ، والسعي لاستقلالهم أنفسهم .

(٣) إنهم فوق هذا يئنون تحت نير الاستعباد ، ويقاسون الشدائد بيد الاستبداد ، وان الدولة التي تحكمهم نفس تلك الدولة التي حاربت بلادكم وتريد الاستيلاء عليها ، فسعيهم ضدها محفوف بالاخطار ، ومجلبة للاهوال .

بيد أنهم لمجرد [illegible] بين الغرب والشرق [illegible] واجب الاخوة الاسلامية وحماية المقامات [illegible] يستطيعوا القرار في [illegible] ، بل اضطروا الى منازلة أقوى دول الارض لاجلكم ولحرية بلادكم !

أفليس في هذا عبرة وموعظة لكم ، أهل البلاد الاسلامية والعربية ؟

البلاد التي :

(١) حريتها واستقلالها وحياتها وشرفها القومي والوطني في معرض الهلاك

(٢) هي لم تكن مستعبدة لا ً ورباً ، بل كانت لها حكومة اسلامية شرقية ومهما تكن سيئاتها كثيرة ، فهي على كل حال كانت حكومة قومية واسلامية ، وظلمها وغدرها وميلها كان أحسن وأولى من عبودية الاجانب .

(٣) هي نفسها كانت في الحرب فريقاً محاربا ، وكان الشرع والعقل يوجبان عليها أن تغض النظر عن مصائبها الداخلية وتحارب العدو الخارجي وتدفع شره ولكنها ماذا فعلت ؟

ان التاريخ سيقص قصتها بكل خجل وحياء ؟ فانها لم تكتف بالقعود عن

أداء فرضها الديني والوطني والانساني ، بل واسوأتاه ! كثير من أبنائها انضموا الى العدو ، فساعدوه على مطامعه ، وكانوا سبباً لانكسار آخر الدول الاسلامية وانقراضها ، حتى ان رجلا قرشياً هاشمياً قاد جيوش الحلفاء الى « بيت المقدس » فنزعه من اخوان دينه وسلمه الى أعدائه !

لمثل هذا يذوب القلب من كمد ان كان في القلب اسلام وإيمان !

أفلم يأت الى الآن وقت قمع المطامع الشخصية والاهواء الباطلة ؟ أفليس هذا أوان الرجوع الى الله ، ورتق ما فتق ، وسد ثلمة الاسلام ، واتحاد الكلمة ، والذود عن البلاد الاسلامية والعربية ؟ أفلم يأن للمسلمين أن يعودوا الى رشدهم ، ويصلحوا ما أفسدته أيديهم ؟ « أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ، ثم لا يتوبون ولاهم يذكرون ؟ »

ان مسلمي الهند ليسوا بمجانين حتى يرضوا في أن يكون أهل بلاد العرب والشام عبيدا للأتراك ، ولكن [illegible] العبودية لبريطانية وفرنسة باسم الوصاية او الحماية ، فيجب على [illegible] ان يفندوا هذه الحقيقة .

انه لا يمكن لامة أن تصون حريتها ما لم تكن وراءها قوة عسكرية ، والاتراك مهما تكن سيئاتهم وذنوبهم ، فالحقيقة التاريخية أن قوتهم العسكرية هي التي حافظت الى الآن على الاجزاء الباقية من البلاد الاسلامية وردت عنها كيد الاعداء . وأن العراق والشام ان نالتا اليوم الحرية التامة ، لا تستطيعان المحافظة عليها لفقدان قوة عسكرية منظمة منهما ، فاذاً لا مناص لهما ولغيرهما من البلدان الاسلامية من أن تتحد وتتفق وترتبط بقوة مركزية ، مع حفظ حريتها المحلية واستقلالها الداخلي ، والا فلا نجاة لها من الحلفاء .

ان الحرية الوطنية انما تصونها وتضمنها القوة ، لا الوعود ، والعهود ، والمعاهدات ، والمؤتمرات ، فان الغرب لا يبالي بشيء منها بل انما يهاب القوة ، والقوة وحدها تجعله يحترمها — فعلى أهل البلاد الاسلامية أن يتحدوا ويتعاونوا ويتناصروا ويرتبطوا بالقوة المركزية الاسلامية ، ثم ليعملوا لطرد الاعداء من أوطانهم ان أحبوا

بلائحة (اللاتعاون السلمي) الهندية بعد أن يجعلوها ملائمة لحالتهم الاجتماعية والسياسية (١)

﴿ مجلة المنار الغراء ﴾

خصصت مجلة (المنار) الغراء بنشر هذا الخطاب لأنها الخليقة بمثله لأياديها البيضاء في الاصلاح الديني وقدحها المعلى في النهضة الاسلامية الحديثة، فانها لاتزال تجاهد جهاداً عظيماً منذ ربع قرن لاحياء المسلمين، وتقاوم الاستبداد والقهر والجمود والتقليد من زمن بعيد ، بل انها أول صوت ارتفع على بعد أجيال كثيرة لاعلاء كلمة الحق ، وأعظم منار رفع للهداية الى الصراط السوي، فانها هي التي قد مزقت ظلمات التقليد التي كانت محيطة بالمسلمين ، وبصرتهم سبيل الاسلام ودين الحق التي كانت عميت عليهم ، ولم يكن هديها محصوراً في البلاد العربية ، بل شمل العالم الاسلامي كله ، فانه كثيراً ما استفاد منها ، وتنور بأفكارها ، وان صاحب هذا الخطاب — الذي وضعنا له هذه المقدمة — لايزال [illegible] وبعده أصح دعوة اصلاحية ظهرت بين المسلمين في القرون الأخيرة . اهـ (عبد الرزاق)

---

(١) ان ما ذكره الكاتب في هذه [illegible] من النظريات العامة المجملة التي يهتم بها كل مسلم يقدر [illegible] مسلمي الهند من توحيد القوة الاسلامية بقدر رسوخ التوحيد بالله في قلبه ، ولكن بين النظريات والعمل عقبات لاعقبة واحدة أهمها أن المانع من اتحاد العرب مع الترك مشترك بين الفريقين والعرب أقرب الى الترك منهم اليهم، مع أن المجاورين لهم منهم ليس أمرهم في ايديهم، وأن سبب هذه العقبات كلها وعلة عللها العصبية الجنسية التي استحدثها الترك لجعل السلطة — التشريعية والتنفيذية — تركية لا اسلامية ، ويعبرون عنها « بالحاكمية الملية » ويعنون بالملية النسبة الى ملة الترك . ويشترطون أن تكون لغة التابع لدولتهم هي التركية دون سواها . وكان من أصول برنامجهم إسقاط دولة آل عثمان و إزالة السلطة الخلافة من الدولة لتحقيق الحاكمية الملية التركية — وقد فعلوا عندما تمهدت السبيل — فالعرب لايأبون الاتحاد بالترك عند الامكان على قواعد الشريعة الاسلامية العربية مع محافظة العرب على لغة الشريعة والقرآن وحرية الترك في لغتهم — فعلى اخواننا الهنود وغيرهم من أهل الغيرة أن يضعوا لهذه الوحدة النظام الذي تساعدهم عليه بمثالنا الحافل في الخلافة الاسلامية ونحن نعتقد ان السواد الاعظم من العرب يوافقون عليه و يسبقون الترك الى تنفيذه بالرغم من دسائس الاجانب وأعوانهم من الحجازيين

﴿ انتداب العرب في سويسرة ﴾

في القرون الوسطى

طرفة تاريخية من قلم الامير شكيب ارسلان الشهير

(٢)

أما المؤرخ (بود يراند) الذي نقل عنه (فردينانذكلر) الالماني فقد جاءت رواياته مطابقة لروايات المسيو رينو وقد وصف خوارق شجاعة تلك الشرذمة العربية وما بلغوه من الفتح والاستيلاء والتبسط في البلاد وكيف كانوا يجوبونها طولا وعرضا ويوقعون بكل من ناوأهم أو وقف في وجههم وينهبون الاديار والكنائس وقصور الامراء. ومن رأيه أن هؤلاء الغزاة من العرب لم يكن غرضهم في تلك النواحي التوسع في الملك ولا استعباد الاهالي بل الاجتهاد في جمع الذهب والنفائس وجمعها في حصن يلجؤون اليه حتى اذا ضاق بهم الامر أو أدبر بهم طالع الحرب خلصوا بها الى سفنهم التي كانت دائما راسية في مرفأ « سان تروبس » وقصدوا اسبانية. ومن رأيه ورأي غيره أن الخليفة في اسبانية لم يكن عنده علم بغزو هؤلاء الصعاليك ولا بما اعتزموه من الاستيلاء على جبال الالب والايغال في ايطالية وسويسرة وانها غزاة قام بها هؤلاء الذؤبان من أنفسهم

ثم انه يوجد في دير « نوفالس » تحت جبل « سنيس »

تاريخ جولة هؤلاء العرب في سنة ٩٠٦ ويقال انه قبل هذه السنة انصبت بلايا ورزايا على مقاطعات « بورغونده » و « سميلكة » وجبال الالب الايطالية لان العرب المذكورين تسلقوا جبل « سنيس » واقتحمت أمامهم « سافواي » وسويسرة وكان دير « نوفالس » من أغنى الاديار وأعظمها فلما سمع الرهبان بقدوم العرب جمعوا كل ما عندهم من الاموال والنفائس والكتب وحملوها الى « تورينو » لتكون في حرز حريز فقبل أن ساروا بها وصل العرب واستولوا عليها واقتحموا الدير ووضعوا النار في الكنيسة وأسروا بعض الرهابين . قال: وفي تلك الآونة كانت

جميع البلاد الممتدة من نهر « اليو » Po الى نهر الرون Rhone « والبروفانس» Pruvence و « اليامون » Piëmon و « الدوفيه » Rdaufhiné « ومونتفرات » montgerrat و «ترانتازه » Tarntaisa مجالا لغارات العرب ومشهد الوقائع غزوهم واجتياحهم

وكان الاشراف والاساقفة اذا أرادوا المرور من هناك الى رومية مضطرين أن يؤدوا فدية عن أنفسهم ليسمح لهم العرب بالجواز والا وقفوا تحت خطر القتال وطالما كانوا يفدون أنفسهم بأشياء ذات قيمة من ذخائر الاديار

وزعم هذا المؤرخ أن العرب لم يقتصروا على نهب المال الصامت والصائت بل تجاوزوه الى سبي الاهالي رجالا ونساء واسترقاقهم (كما كان الافرنج أنفسهم يفعلون مع العرب) وكان اذا قتل أحد الاهالي واحدا من العرب أخشوا الانتقام من قوم القاتل وأضرموا النار في جميع البلد (على طريقة الدول المتمدنة. . . . . اليوم يرمي القنابر من الطيارات على القرى ويقتل أي من صادفت فيها من رجال ونساء وأطفال عقابا لقوم من أهالي تلك القرى وقطعوا سبيل فيهاء هذا لعمرك نظير ذلك حذو القذة بالقذة الا أن عمل أولئك الصعاليك من العرب وهو أصغر يسمونه عيثا وتخريبا وعمل الدول المتمدنة هذه . . . . . مع كونه أفظع وأكبر يسمونه اصلاحا وتمدينا . . . .)

وكان السكان يهيمون زرافات ووحدانا ويأوون الى الكهوف والغابات ويعتصمون بالجبال لاجل النجاة بأرواحهم من عادية العرب وطالما سعى أناس في جمع كلمة الملوك والامراء على قتال هؤلاء ففشلت مساعيهم بما كان من اختلاف الكلمة . بل كنت ترى أحيانا بعض الرؤساء يستظهرون بالعرب على أبناء جلدتهم . أخبر فلودوا رد Floduord في تاريخه أن العرب سنة ٩٢١ قتلوا قافلة من الانكليز كانوا حاجين الى رومة بالقاء الصخور عليهم من أعالي الجبال وبعد سنتين من ذلك التاريخ أهلكوا قافلة أخرى في جبال الالب وفي سنة ٩٢٩ اضطر الحج الى الرجوع أدراجه . قالوا ولا يعلمون تماما في أي مضايق

الالب وقعت هذه الحوادث هل في ممار الالب بين سويسرة وإيطالية أو في ممارة بين فرنسة وإيطالية ؟ ولكن يرجح أن الانكليز الذين كانو يحجون رومة كانوا يختارون ممر سان برنار . ثم لم يتفق المؤرخون على تعيين الزمن الذي وقعت فيه سان برنارفي قبضة العرب وانما يحقق وجود هذا الحادث في القرن العاشر ويرجح بعضهم أنه في نحو سنة ٩٤٠ تساق العرب سان برنار من جهة وادي الرون حيث يوجد هناك في كهف عظيم دير « الونوم » Ogaunum المؤسس على اسم القديس موريسيوس ففي ذلك العام سطا العرب على ذلك الدير ونهبو ما فيه من الامتعة والذخائر وأحرقوه فجاء القديس أريك أسقف أوغسبرغ عن طريق (بورغوند) لاخذ عظام الشهداء ونقلها الى أوغسبرج فلم يجد شيئا .

وذكر فلودوارد أن جماعة من حجاج [illegible] والفرنسيين كانوا قاصدين رومة ٩٤٠ فصادفوا العرب ورجعوا بعد أن فقدوا كثيرا من رفاقهم . وان راهبا اسمه رودلف من [illegible] الى الملك لودفيك الرابع يذكر فيه [illegible] في المحافظة على هذه الجهات ويستعديه على العرب ويستمده لاماطة معرتهم وترميم ما خربوه من قبور القديسين

وبعد أن غزا العرب نواحي بحيرة جنيف ظهروا في مضايق جبال الالب الشرقية وملكوها ويقول فلودوارد انهم غزوا المانيا وقطعوا الطرق على حجاج الالمان واجتاحوا وادي الرين ونواحي شور وان الوثائق التي تثبت وصول العرب الى وادي الرين تنبئ بأن الدوق الالماني هرمان المسمى كونت شورفالسن Graf uon Churvallechen التمس من عاهل المانيا يومئذ عام ٩٤٠ أن يعوض أسقف شور عما نهبه العرب من ديار أسقفيته فأهدى القيصر ذلك الاسقف كنيستين هما كنيسة بلوندنز وكنيسة سان مارتين على شرط انه بعد وفاة الاسقف يعود ريع أوقاف الاولى على أساقفة شور وريع الثانية على دير الراهبات في رازيس

وان مما يحير العقول كيف اقتحمت عصابة قليلة من صعاليك العرب تلك

الاخطار وصعدت تلك الجبال جبال الالب وعبرت شاطئ بحيرة لانغ وكومر الى أن ظهرت على حدود ألمانية ؟ فقد ثبت انهم مع قلة عددهم كانوا أولي جرأة خارقة للعادة وكان الخوف منهم قد تمكن من القلوب جميعها . ولقد تحقق كونهم جاسوا خلال أودية منابع الرين وجهات الشور وكانت مغاور الجبال مكامن لهم وكانوا يقصدون المسافرين بالمراصد من المهاوي العميقة ويتخذون لانفسهم أبراجا يعتصمون بها في الشدائد

ثم ورد في تاريخ كثر خبر قيام هوغ صاحب بروفانس لحرب العرب المذكورين وعزمه على فتح حصنهم في فراكسينة وذلك أنه بعد عقد الصلح مع ألبريكوس خصمه الذي كان ينازعه على مملكة لومباردية استنجد ملك الروم بالقسطنطينية ليبعث له بالاسطول فبعث به وأحرق مراكب العرب في خليج سان تروبيس بينما كان هوغ يهاجم حصونهم في جبل فراكسينة وكان مقصد (هوغ) أن يمحو وجود تلك الديار ويتخلص من شرهم ولكن قد حدث ما لم يكن في حسبانه وهو أن (بيرانجير Bérengar) الطلياني ثار على (هوغ) وجاذبه الحبل فغضب هوغ وأصر على قهره وأخذه أسيرا وقتله أو سمل عينه ففر (بيرانجير) من لومباردية الى (هرمان) أمير (شفابن) فأجاره وقدمه الى (أوتو) قيصر ألمانية فأكرم هذا مثواه ووعده خيرا ، فلما علم (هوغ) بذلك سُقط في يده وأرسل الى القيصر بالالطاف والهدايا ليصرفه عن مساعدة (بيرانجير) ثم صالح العرب وسرح الاسطول اليوناني وأطلق للعرب حريتهم وأمنهم بشرط أن يجعلوا سكناهم في الجبال الفاصلة بين ايطاليا و(شفابن Chavvaben) وأن يحجزوا بين عساكر (بيرانجير) وجبال الالب . وظاهر جلي أن العرب نالوا بهذه المعاهدة حق احتلال جميع معابر الالب وشعابها وجلاء نفس (هوغ) عن بقعتهم — أو منطقة احتلالهم — ولكن هذا غير صريح . وقد اتخذ العرب هذه المعاهدة سلاحا وانتفعوا بها أعظم الانتفاع وقاموا بتنفيذها بتمامها حتى أن بيرانجير في عودته

الى إيطالية لم يجرأ أن يمر بجبال الالب بل جاء من طريق جبال التيرول فتعرض من جراء جبنه هذه الى هجاء الشاعر المؤرخ (بود براند) الذي كان في عصره

ومنذ عقد العرب هذا الوفاق شعروا أنهم أصبحوا السادة المالكين لمعابر الالب وضربوا رسوما على القوافل المارة فكل من لم يؤد لهم الرسم أوثقوه أسيرا الى أن يدفع

ثم امتد غزو العرب الى نواحي (سار غانز Sargans) وتورغنبورغ Toggenburg وأبنزل وقد ذكر ذلك مؤرخ اسمه ايكيهارد في كتاب وجد في دير القديس غالن فقال :

ان طبيعة العرب وطور معيشتهم البرية كانا مما جعل التغلب عليهم في غاية الصعوبة ولقد تمادت جرأتهم الى ايام فالية Valais وبينما كان الاهالي يومئذ محتفلين بعيد ديني راقصين الصلبان طائفين بها اذ أقبل العرب من جهة بارينيغ Parenegg ورموا المحاجر الناتئة ولكن الشريف الرهاني فلم يترك هذا الجرم بدون جزاء بل جمع جموعه ودهم قطاع الطرق بجيشه المكون من العبيد والعملة وغيرهم وكلهم مسلحون بالحراب والمناجل والفؤوس وقد كبس على العرب بياتا وهم نائمون فقتل بعضا وأسر بعضا وفر الباقون الى الجبال لا يلوون على شيء وسيق الاسرى الى الدير فأبوا أن يأكلوا ويشربوا حتى ماتوا جوعا (اذاً ليس الايرلانديون هم الذين اخترعوا هذا النوع من الانتحار)[1] ولم تعرف مدة اقامة العرب بشرقي سويسرة الا أنه ثبت كونهم وجدوا هناك في القرن العاشر . وفي سنة ٩٥٤ التي انكسر فيها العرب في دير القديس (غالن) هذا انكسر لهم جيش آخر في حرب (المجار) وذلك بفضل شجاعة الملك كونراد فون بورغوند فانه استأصل منهم طائفة عظيمة لكنهم بقوا قابضين على معابر الالب الغربية

قال المؤرخ ايكيهارد من رهبان دير القديس غالن: ان العرب تمكنوا تماما في داخل جنوبي أوروبا وكان من جملة الخطط التي رسموها لانفسهم أن يتزوجوا

(١) المنار هؤلاء مسبوقون أيضا ففي أخبار سنة ٢٩٣ من كتاب تجارب الامم

من بنات اهل البلاد وأن يتوطنوا بها على شرط أن لا يؤدوا مالا كثيرا لملك القطر الذي يكونون فيه ؛ واما الوادي الذي انتجعوه لتأسيس هذه المستعمرة العربية التي قصدوا أن يتعاطوا فيها الفلاحة ويستقروا هادئين فلا يعلم هل هو وادي قاليس Vallis أو وادي قال من ساقوا أم غيرهما

وسنة ٩٥٤ كانت سنة نحس على سويسرة الشرقية لان المجار من جهة الشمال والعرب من الجنوب كانوا قد اكتسحوا البلاد

وفي — ٢٢ يوليو ٩٧٣ كان القديس (ماجلوس) من (كلوني) عائدا من (بافيا) الى (بورغوند) ومعه قافلة عظيمة لان الناس الذين كانوا يريدون العبور ظنوا أن التحاقهم به قد يحميهم من غارة العرب فوصلوا الى قرية في جبل سان برنار واذا العرب انقضوا عليهم وأوثقوهم ولم ينج القديس نفسه من الوثاق بل صفدوه بالحديد ثم أحضروا له طعاما على عادة العرب لحما وخبزا يابسا فأبى أن يطعم شيئا وقال لهم انني لم أتعود أكل هذا الخبز فقام أحدهم وغسل يديه وعجن دقيقا وخبزه وقدمه للقديس بكل احترام فرضي بهذا من عمله وصلى وأكل .

ومما يروي أولئك المؤرخون أيضا أن أحد العرب أراد أن يقطع غصن شجرة ليتخذ منه محجنا فلما أراد أن يتطاول الى الشجرة كان تحتها انجيل شريف من أمتعة القافلة فأراد أن يدوس عليه فانتهره أصحابه وصاحوا به : ويل لك كيف تطأ برجلك كتاب نبي مقدس ؟ وذلك أن العرب يحترمون الانبياء ويقولون إن محمدا (ص) هو النبي الذي وعد بمجيئه المسيح (ص)

هذا — وقد أذن العرب للقديس ماجلوس أن يكتب الى بلدته كلوني يطلب فدية يفك بها نفسه ورفاقه فلما ورد الصريخ قامت قيامتهم وأضجوا وأعولوا وعلا نحيبهم فجمعوا وعفشوا (جمعوا ومنه قول العامة العفش الامتعة) من ذخائر الاديار والكنائس كل ما قدروا وأرسلوا به لفداء القديس ورفاقه فبلغ مجموع الفدية ألف رطل من الفضة أصاب كل واحد من العرب رطلا . الا أن هذه الحادثة هاجت عليهم البلدان بأسرها وصمم الاكثرون على التخلص من معرتهم

واشتهر في ذلك زعيم اسمه (بريو) من أهل (سيسترون Sistron) فألب الاهالي عليهم بزعامة هذا الرجل وأجلوهم عن تلك الناحية الى (دوفينه Dauphine) ومنها الى بروفانس وهناك غزاهم غليوم أحد أمراء بروفانس بجيش كبير الى مقرهم الاصلي فراكسينة وبعد حصار شديد افتتح الحصن عنوة وفر العرب الى الذين بالحراج والجبال فمنهم من وقع في اليد فقتل ومنهم من تنصر لينجو برقبته وتقاسم جيش بروفانس أسلابهم وهكذا انتهت من هناك دولتهم وشالت نعامتهم ولله الامر من قبل ومن بعد

(له تتمة في آثار العرب بسويسرة)

أقدم كتاب في العالم أثر مصري
منذ ٥٥٠٠ سنة

نشر أولا في جريدة الاهرام

عثر أحد الفلاحين على أوراق بردية ... مقبرة بناحية ذراع أبي النجا بطيبة فباعها للعالم الاثري الفرنسي بريس دافين الذي أخذها سنة ١٨٤٧ ثم قدمها هدية لدار الكتب الاهلية بباريس ولذلك اشتهرت بورقة بريس البردية وهي أقدم كتاب في العالم لانها كتبت منذ ٥٥٠٠ سنة وقد كانت كتب الاولين كلها من هذا النوع وهي تشتمل على ١٨ صحيفة مكتوبة بالخط الهراطيقي بالحبر الاحمر والاسود متضمنة نصائح ومواعظ وحكم وضعها رجلان الاول يدعى قاقنه وهو وزير الملك حوني من الاسرة الثالثة والثاني يدعى فتاح حتب وهو وزير الملك أسي من الاسرة الخامسة كتبها وله من العمر ١١٠ سنوات اقتبسها من السلف، وجعلها موعظة للخلف: ولذا قال لابنه « اذا سمعت هذه الحكم السامية عمرت طويلا، وبلغت أوج الكمال، وتدرجت الى معالي العلا والمجد

ثم اعتنى بترجمتها من اللغة المصرية القديمة الى الفرنسية العالمان شاباس دفيري وبالالمانية العالم لوث وبالالمانية العلامة بروكش باشا وبالانكليزية

الاثري المسترجن ومن هؤلاء نقلتها الى العربية

وقد وجدت هذه النصائح مكررة وغير مرتبة فلخصتها واقتصرت فيها على فرائد الفوائد

ولاهمية هذه النصائح المصرية اعتنى بها الانكليز اعتناء عظيما حتى قرروها في برنامج الدراسة للاطفال فأكسبتهم المبادىء الشريفة التي أشربتها قلوبهم في الصغر فسادوا العالم وقادوا الامم وذلك بفضل اتباعهم مناهج أجدادنا العظام التي دونوها لنا وكنزوها لاجلنا فكان نفعها لغيرنا ويا حبذا لو اهتدينا اليها واقتدينا بها فنحن أحق بها

{ نصائح قاقنا }

الحكيم المصري القديم

(١) اسلك طريق الاستقامة لئلا يحل عليك غضب الله

(٢) إحذر أن تكون عنيدا في الخصام فتستوجب عقاب الله

(٣) الابن الذي ينكر الجميل يحزن والديه

(٤) متى كان الانسان خبيرا بأحوال الدنيا سهل عليه قيادة ذريته

(٥) ان قليل الادب بليد ومذموم

(٦) اذا دعيت الى وليمة وقدم لك من أطايب الطعام الذي تشتهيه فلا تبادر الى تناوله لئلا يعتبرك الناس شرها، واعلم أن جرعة ماء تروي الظمأ ولقمة خبز تغذي الجسم

(٧) احفظ هذه النصائح واعمل بها تكن سعيدا ومحمودا بين الناس

{ أمثال فتاح حتب }

الحكيم المصري القديم

(١) ان التعرف بأعاظم الناس نفحة من نفحات الله

(٢) لا توقع الفزع في قلوب البشر لئلا يضربك الرب بعصا انتقامه

(٣) اذا شئت أن تعيش من مال الظلم أو تغتني منه نزع الرب نعمته منك وجعلك فقيرا

(٤) ان الله يعز من يشاء ويذل من يشاء لان بيده مقاليد الامور فمن العبث التعرض لارادته تعالى

(٥) اذا كنت عاقلا فرب ابنك حسبما يرضى الله تعالى واذا شب على مثالك وجد في عمله فأحسن معاملته واعتن به . أما اذا طاش وساء سلوكه فهذب أخلاقه وأبعده عن الاشرار لئلا يستخف بأمرك

(٦) ان تدبير الخلق بيد الله الذي يحب خلقه

(٧) اذا نلت الرفعة بعد الضعة وطيبت الثروة بعد الفاقة فلا تدخر الاموال بمنع الحقوق عن أهلها فانك أمين على نعم الله والامين يؤدي أمانته واعلم أن جميع ما وصل اليك [illegible] الا الذكر

(٨) ما أعظم الانسان الذي يهتدي الى الحق والى الصراط المستقيم

(٩) من خالف الشرائع والقوانين نال شر الجزاء

(١٠) لا ينجو الاثيم من النار في الحياة الآخرة

(١١) الا ان حدود العدالة ثابتة وغير قابلة التغيير

(١٢) اذا دعاك كبير الى الطعام فاقبل ما يقدمه لك ولا تطل نظرك اليه ولا تبادره بالحديث قبل أن يسألك لانك تجهل ما يخالف مشربه بل تكلم عند ما يسألك فحينئذ يعجبه كلامك

(١٣) اذا كلفك كبير حاجة فأنجزها له حسب رغبته

(١٤) اذا تعرفت برجل رفيع المقام فلا تتعاظم عليه بل احترمه لمركزه

(١٥) اذا جلست في مجلس رئيسك فعليك بالكمال والصمت ولا تتفوق في الكلام لئلا يعارضك من هو أكبر منك نفوذا وأكثر منك خبرة واعلم أن من الجهل أن تتكلم في مواضيع شتى في آن واحد

(١٦) لا تمق كبيرا عن عمله متى رأيته مشغولا فانه عدو لمن يعوق أعماله

(١٧) لا تخن من ائتمنك تزدد شرفا ويعمر بيتك

(١٨) من الحمق أن يتشاجر المرؤوس مع رئيسه فان الانسان لا يعيش عيشة راضية الا اذا كان مهذبا لطيفا ظريفا

(١٩) اذا دخلت بيت غيرك فاحذر من الميل الى نسائه فكم أناس تهافتوا على هذه اللذة القصيرة التي تمر كالحلم فأودت بهم الى المخاطر والمهالك واعلم أن بيت الزاني للخراب والزاني نفسه فاقد الرشد وهالك وممقوت عند الله والناس ومخالف للشرائع والنواميس [1]

(٢٠) اذا كنت عاقلا فدبر منزلك وحب زوجتك التي هي شريكتك في حياتك وقم لها بالمؤونة لتحسن لك المؤونة وأحضر لها الطيب وأدخل عليها السرور ولا تكن شديدا معها اذ باللين تملك قلبها وقم بمطالبها الحق (أو بالمعروف) ليدوم معها صفاؤك ويستمر هناؤك

(٢١) لا تعجب بعلمك لان العلم بحر لا يصل الى آخره متبحر مهما خاض فيه وسبح واعلم أن الحكمة أغلى من الزمرد لان الزمرد تجده الفعلة في الصخور بخلاف الحكمة فانها نادرة الوجود

(٢٢) لا تترك التحلي بحلية العلم ودماثة الاخلاق

(٢٣) اذا كنت زعيم قوم فنفذ سلطتك المخولة لك وكن كاملا في جميع أعمالك ليذكرك الخلف ولا تسرف في المواهب والنعم التي تقود الى الكبرياء وتؤدي الى الكسل

(٢٤) اذا كنت قاضيا فكن لين الجانب مع المتقاضين ولا تجعل أحدهم يتردد في كلامه ولا تنهره ودعه يتكلم بحرية لكي يعبر عن مظلمته بصراحة واذا لم تنصفه يكون سببا لسوء سمعتك فحسن الاصغاء أفضل طريقة لكشف الحقيقة

(٢٥) ليكن أمرك ونهيك لحسن الادارة ، لا لاظهار الرياسة والامارة .

(١) هذا موافق لقوله تعالى (ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا)

(٢٦) لا تستبد لئلا تضل

(٢٧) لا تكن بإساءتك كسر ولا لينا فتعصر

(٢٨) اذا شئت أن تطاع، فسل ما يستطاع

(٢٩) اذا حكمت بين الناس فاسلك طريق العدل ولا تنحز لفريق دون آخر ولا تسبوك الجور والعسف

(٣٠) اذا عفوت عن أساء اليك فاجتنبه واجعله ينسى اساءته اليك حتى لا يذكرها مرة ثانية

(٣١) بقدر الكد تكتسب الثروة فمن جد في طلبها أنجح الله مسعاه

(٣٢) اجتهد دائما في عملك ولا تترك فرصة اليوم للغد، فمن جد وجد

(٣٣) اذا كنت متعظا في حياتك صرت غنيا وحسنت سمعتك، وتحسنت صحتك، وطار صيتك، وملكت حاجاتك، أما الذي ينقاد لشهواته فانه يصير ذميما سمجا وعدوا لنفسه

(٣٤) اذا وقفت أمام الحاكم فاخفض جناحك واحن رأسك ولا تعارضه وجاوبه بوداعة لينجذب قلبه اليك

(٣٥) اذا فاه أخوك بالشر فازجره لتكون خيرا منه

(٣٦) امنح الكلام غيرك فان السكوت من ذهب

(٣٧) لا تحتقر فقيرا، واذا زارك فاكثر كرمك لدى لئلا تخذله، ولا تغضبه ولا تحتقر رأيه فان هذا ليس من شيم الكرام

(٣٨) احذر من تحريف الحقيقة بين الناس لئلا تزرع الشقاق بينهم

(٣٩) لا تخبر أحدا بما صرح به الك غيرك لئلا يبغضك الناس

(٤٠) من ساءت سيرته ضل الصراط المستقيم

(٤١) اذا كنت في مجتمع فاسلك دائما حسب قوانينه

(٤٢) اذا عاشرت قوما فاجذب قلوبهم اليك

(٤٣) ليكن كلامك دائما سديدا مفيدا

فانه داء دفين لا دواء له والمتصف به قليل الحظ لان الطمع مجلبة الشحناء والشقاق بين الاهل والاقارب وهو سبب كل الشرور والرذائل . أما القناعة فهي أساس النجاح والفلاح ومصدر الخير والبر

(٤٥) لا تفرط في الكلام ولا تصغ الى البذاءة لانها صادرة عن التهيج والغيظ، واذا أسرف أحد أمامك في الكلام فأطرق رأسك الى الارض لترشده بذلك الى طريق الحكمة

(٤٦) من يلقي بنفسه في متاعب الدنيا ويستغرق فيها كل أوقاته لا يجد لذة في حياته

(٤٧) من يعكف طول نهاره على شهواته ضاعت مصالح بيته

(٤٨) اذا شئت أن تعرف طباع صديقك فلا تسأل عنه أحدا بل استنتج ذلك بانفرادك معه في المحادثة المرة بعد المرة ولا تغضبه ومتى أخبرك عن أصل ماضيه عرفت جميع أخلاقه [illegible] ولا تدعه يتعثر في حديثه، وإياك أن تقاطعه في الحديث [illegible] علامات أن تستطلع جميع أحواله

(٤٩) كن بشوشا ما دمت حيا

(٥٠) من زرع الشقاق بين الناس عاش حزينا لا يصحبه أحد

(٥١) من طابت سريرته حمدت سيرته

(٥٢) متى كبر الانسان في السن عادت اليه حالة صاره فيعمش بصره (١) وينقص سمعه ويصدت فمه ويسخف كلامه ويظلم عقله وتضعف ذاكرته وتخور قواه وتقف حركة قلبه وترق عظامه ويهزل جسمه ويفقد ذوقه وشمه . حقا ان الشيخوخة آفة الانسانية

أنطون زكري

بالمتحف المصري

(١) العمش توصف به العين ومعناه كثرة تحلل الدمع منها ويلزمه ضعف البصر الذي هو العشى . يقال عشي الرجل (كرضي) وعمشت عينه فهو أعمش أعشى

أهل الصفة

(وأباطيل بعض المتصوفة فيهم وفي الاولياء وأصنافهم والدعاوى فيهم)

لشيخ الاسلام أحمد تقي الدين بن تيمية قدس سره

بسم الله الرحمن الرحيم

(مسألة) ما تقول السادة العلماء أئمة الدين رضي الله عنهم في أهل الصفة كم كانوا ؟ وهل كانوا بمكة أو بالمدينة ؟ وأين موضعهم الذي كانوا يقيمون به ؟ وهل كانوا مقيمين بأجمعهم لا يخرجون الا خروج حاجة أو كان منهم من يقعد بالصفة ومنهم من يتسبب في القوت ؟ وما كان تسببهم هل يعملون بأبدانهم أم يشحذون بالزنبيل ؟

وما قول العلماء وفقهم الله تعالى فيمن يعتقد أن أهل الصفة قاتلوا المؤمنين مع المشركين؟ وفيمن يعتقد أن أهل الصفة أفضل من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ومن الستة الباقين من العشرة وأفضل من جميع الصحابة ؟ وهل كان فيهم أحد من العشرة؟ وهل كان أحد في ذلك العصر ينذر لأهل الصفة ؟ وهل تواجدوا على دف أو شبابة أو كان لهم حاد ينشد لهم أشعارا ويتحركون عليها بالتصدية ويتواجدون؟

وما قول العلماء في قوله تعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) هل هي عامة أم مخصوصة بأهل الصفة رضي الله عنهم؟ وهل هذا الحديث الذي يرويه كثير من العوام ويقولون إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ما من جماعة يجتمعون الا وفيهم ولي لله لا الناس تعرفه ولا الولي يعرف أنه ولي» وهل تخفى حالة الاولياء أو طرقهم على أهل العلم أو غيرهم ؟ ولماذا سمي الولي وليا؟ وما الفقراء الذين يسبقون الاغنياء الى الجنة والفقراء الذين أوصى الله عليهم في كلامه وذكرهم خاتم أنبيائه ورسله وسيد خلقه محمد صلى الله عليه وسلم في سنته ؟ هل هم الذين لا يملكون كفايتهم أهل الفاقة والحاجة أم

لا؟ والحديث المروي في الابدال هل هو صحيح أم مقطوع؟ وهل الابدال مخصوص بالشام أم حيث تكون شعائر الاسلام قائمة بالكتاب والسنة يكون بها الابدال بالشام وغيره من الاقاليم؟ وهل صحيح أن الولي يكون قاعدا في جماعة ويغيب جسده

وما قول السادة العلماء في هذه الاسماء التي تسمى بها أقوام من المنسوبين الى الدين والفضيلة ويقولون هذا غوث الاغواث وهذا قطب الاقطاب وهذا قطب العالم وهذا القطب الكبير وهذا خاتم الاولياء؟

وأيضا فما قول العلماء في هؤلاء القلندرية الذين يحلقون ذقونهم ما هم؟ ومن أي الطوائف يحسبون؟ وما قولكم في اعتقادهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعم شيخهم قلندر عنبا وكلمه بلسان العجم؟ وهل يحل لمسلم يؤمن بالله تعالى أن يدور في الاسواق والقرى ويقول من عنده نذر للشيخ فلان أو قبره؟ وهل يأثم من يساعده أم لا؟ وما تقولون فيمن يقول ان الست نفيسة هي باب الحوائج الى الله تعالى وأنها خفيرة مصر؟ وما تقولون فيمن يقول ان بعض المشايخ اذا قام لسماع المكاء والتصدية يحضره رجال الغيب وينشق السقف والحيطان وتنزل الملائكة ترقص معهم أو عليهم وفيهم من يعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحضر معهم؟ وماذا يجب على من يعتقد هذا الاعتقاد؟ وما صفة رجال الغيب وما قول من يقول أنه من خفراء التتار؟ وهل يكون للتتار خفراء أم لا؟ واذا كانوا فهل يغلب حال هؤلاء خفراء الكفار كحال خفراء أمة النبي صلى الله عليه وسلم

وهل هذه المشاهد المسماة باسم أمير المؤمنين علي وولده الحسين رضي الله عنهما صحيحة أم مكذوبة؟ وأين ثبت قبر علي بن عم رسول الله؟ والمسؤول من احسان علماء الاصول كشف هذه الاعتقادات والدعاوى والاحوال كشفا شافيا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

والحالة هذه أفتونا مأجورين أثابكم الله

أجاب: رضي الله عنه وأرضاه آمين.

الحمد لله رب العالمين: أما الصفة التي ينسب اليها أهل الصفة من أصحاب

النبي صلى الله عليه وسلم فكانت في مؤخر مسجد النبي صلى الله عليه وسلم في شمال المسجد بالمدينة النبوية كان يأوي اليها من فقراء المسلمين من ليس له اهل ولا مكان يأوي اليه. وذلك أن الله سبحانه وتعالى لما أمر نبيه والمؤمنين أن يهاجروا الى المدينة النبوية حين آمن به من آمن من أكابر أهل المدينة من الاوس والخزرج وبايعهم بيعة العقبة عند منى وصار للمؤمنين دار عز ومنعة جعل المؤمنون من أهل مكة وغيرهم يهاجرون الى المدينة وكان المؤمنون السابقون بها صنفين المهاجرين الذين هاجروا اليها من بلادهم والانصار الذين هم اهل المدينة وكان من لم يهاجر من الاعراب وغيرهم من المسلمين لهم حكم آخر، وآخرون كانوا ممنوعين من الهجرة لمنع أكابرهم لهم بالقيد والحبس، وآخرون كانوا مقيمين بين ظهراني الكفار المنظهرين عليهم وكل هذه الاصناف مذكورة في القرآن وحكمهم باق الى يوم القيامة في أشباههم ونظرائهم قال الله تعالى (ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا، وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير • والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير • والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم) فهذا في السابقين

ثم ذكر من اتبعهم الى يوم القيامة فقال (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شيء عليم) وقال تعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه) الآية وذكر في سورة الاعراب المؤمنين وذكر المنافقين من اهل المدينة وممن حولها. وقال تعالى (الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم؟ قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا • الا المستضعفين

من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا * فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم * وكان الله غفورا رحيما)

فلما كان المؤمنون يهاجرون الى المدينة النبوية كان فيهم من ينزل على الانصار بأهله أو بغير أهله لان المبايعة كانت على أن يؤووهم و يواسوهم . وكان في بعض الاوقات اذا قدم المهاجر اقترع الانصار على من ينزل منهم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد حالف بين المهاجرين والانصار وآخى بينهم. ثم صار المهاجرون يكثرون بعد ذلك شيئا بعد شيء، فان الاسلام صار ينتشر والناس يدخلون فيه والنبي صلى الله عليه وسلم يغزو الكفار تارة بنفسه وتارة بسراياه فيسلم خلق تارة ظاهرا وباطنا وتارة ظاهرا فقط ويكثر المهاجرون الى المدينة من الاغنياء والفقراء والآهلين والعزاب . فكان من لم يتيسر له مكان يأوي اليه يأوي الى تلك الصفة التي في المسجد . ولم يكن جميع أهل الصفة يجتمعون في وقت واحد بل منهم من يتأهل أو ينتقل الى مكان آخر يتيسر له ويجيء ناس بعد ناس فكانوا تارة يكثرون وتارة يقلون ، فتارة يكونون عشرة او اقل وتارة يكونون عشرين والثلاثين وأكثر وتارة يكونون ستين وسبعين

وأما جملة من آوى الى الصفة مع تفرقهم فقد قيل كانوا نحو أربعمائة من الصحابة وقد قيل كانوا أكثر من ذلك. جمع أسماءهم الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي ولم يعرف كل واحد منهم في كتاب تاريخ أهل الصفة (١) وكان معتنيا بجمع أخبار النساك والصوفية والآثار التي يستندون اليها والكلمات المأثورة عنهم وجمع أخبار زهاد السلف وأخبار جميع من بلغه انه كان من أهل الصفة وكم بلغوا ، والصوفية المتأخرون بعد القرون الثلاثة (١). وجمع أيضا في الابواب مثل حقائق التفسير ومثل أبواب التصوف الجارية على أبواب الفقه ومثل كلامهم في التوحيد والمعرفة والمحبة ومسألة السماع وغير ذلك من الاحوال وغير ذلك من الابواب.

(١) هذا التاريخ لابي عبد الرحمن محمد السلمي المذكور المتوفى سنة ٤١٢

وفيما جمعه فوائد كثيرة ومنافع جليلة وهو في نفسه رجل من أهل الخير والدين والصلاح والفضل . وما يرويه من الآثار فيه من الصحيح شيء كثير ويروي أحيانا آثارا ضعيفة بل موضوعة يعلم انها كذب

وقد تكلم بعض حفاظ الحديث في سماعه وكان البيهقي اذا روى عنه يقول حدثنا أبو عبد الرحمن من أصل سماعه وما يظن به وبأمثاله ان شاء الله تعالى تعمد الكذب(١) لكن لعدم الحفظ والاتقان يدخل عليهم الخطأ في الرواية فان النساك والعباد منهم من هو متقن في الحديث مثل ثابت البناني والفضيل بن عياض وأمثالهم ومنهم من قد يقع في بعض حديثه غلط وضعف مثل مالك بن دينار وفرقد السبخي ونحوهما

وكذلك ما يؤثره أبو عبد الرحمن عن بعض المتكلمين في الطريق أو ينتصر له من الاقوال والاحوال فيه من الهدى والعلم شيء كثير . وفيه أحيانا من الخطأ أشياء وبعض ذلك يكون عن اجتهاد سائغ، وبعضه باطل قطعا مصدره مثل ما ذكر في حقائق التفسير قطعة كبيرة عن جعفر الصادق وغيره من الآثار الموضوعة وذكر عن بعض طائفة أنواعا من الاشارات التي بعضها أمثال حسنة واستدلالات مناسبة وبعضها من نوع الباطل واللغو والذي جمعه الشيخ أبو عبد الرحمن في تاريخ أهل الصفة وأخبار زهاد السلف وطبقات الصوفية يستفاد منه فوائد جليلة ويجتنب ما فيه من الروايات الباطلة ويتوقف فيما فيه من الروايات الضعيفة . وهكذا كثير من أهل الروايات ومن أهل الآراء والاذواق من الفقهاء والزهاد والمتكلمة وغيرهم يوجد فيما يأثرونه عمن قبلهم وفيما يذكرونه معتقدين له شيء كثير وأمر

---

(١) المنار: ذكر الحافظ في لسان الميزان السلمي هذا ووصفه بانه شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم وانه عني بالحديث ورجاله وقال: تكلموا فيه وليس بعمدة بل قال ابن القطان : كان يضع الاحاديث للصوفية وان الحاكم قال كان كثير السماع والحديث متقنا فيه من بيت الحديث والزهد والتصوف . (قال) وقال السراج: مثله ان شاء الله لا يتعمد الكذب ونسبه الى الوهم .

عظيم من الهدى ودين الحق الذي بعث الله به رسوله . ويوجد أحيانا عندهم من جنس الآراء والاذواق الفاسدة أو المحتملة شيء كثير ومن له من الامة لسان صدق عام بحيث يثنى عليه ويحمد في جماهير أجناس الامة فهؤلاء هم أئمة الهدى ومصابيح الدجى وغلطهم قليل بالنسبة الى صوابهم وعامته من موارد الاجتهاد التي يعذرون بها وهم الذين يتبعون العلم والعدل فهم بعداء عن الجهل والظلم وعن اتباع الظن وما تهوى الانفس

(فصل وأما حال أهل الصفة) هم وغيرهم من فقراء المسلمين (الذين) لم يكونوا في الصفة أو كانوا يكونون بها بعض الاوقات - فكما وصفهم الله تعالى في كتابه حيث بين مستحقي الصدقة منهم ومستحقي الفيء . فقال (إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير) الى قوله (للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا) وقال في أهل الفيء (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون)

وكان فقراء المسلمين من أهل الصفة وغيرهم يكتسبون عند امكان الاكتساب الذي لا يصدهم عما هو أوجب أو أحب الى الله من الكسب وأما اذا أحصروا في سبيل الله عن الكسب فكانوا يقدمون ما هو أقرب الى الله ورسوله

وكان اهل الصفة ضيف الاسلام يبعث اليهم النبي صلى الله عليه وسلم بما يكون عنده فان الغالب كان عليهم الحاجة لا يقوم ما يقدرون عليه من الكسب بما يحتاجون اليه من الرزق

واما المسألة فكانوا فيها كما أدبهم النبي صلى الله عليه وسلم حرمها على المستغني عنها وأباح منها أن يسأل الرجل حقه مثل أن يسأل ذا السلطان أن يعطيه حقه من مال الله أو يسأل اذا كان لا بد سائلا الصالحين الموسرين اذا احتاج الى ذلك ونهى خواص أصحابه عن المسألة مطلقا حتى كان السوط يسقط من يد أحدهم

فلا يقول لاحد ناولني اياه. وهذا الباب فيه أحاديث وتفصيل وكلام للعلماء لا يسعه هذا الكتاب مثل قوله (ص) لعمر بن الخطاب رضي الله عنه «ما أتاك من هذا المال وأنت غير سائل له ولا مشرف فخذه ومالا فلا تتبعه نفسك»(١). ومثل قوله: من يستغن يغنه الله، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يتصبر يصبره الله، ما أعطى أحد عطاء خيرا أوسع من الصبر (٢). ومثل قوله: من سأل الناس وله ما يغنيه جاءت مسألته خدوشا أو خموشا او كدوشا في وجهه (٣). وقوله: لان يأخذ احدكم حبله فيذهب فيحتطب خير له من ان يسأل الناس اعطوه او منعوه»(٤) الى غير ذلك من الاحاديث

واما الجائز منها فمثل ما اخبر الله عز وجل عن موسى والخضر أنهما أتيا اهل قرية استطعما اهلها. ومثل قوله «لا تحل المسألة الا لذي الم موجع او غرم مفظع او فقر مدقع. ومثل قوله لقبيصة بن مخارق الهلالي «يا قبيصة لا تحل المسألة الا لثلاثة، رجل اصابته [illegible] حتى يجد سدادا من عيش او قواما من عيش ثم يمسك، ورجل تحمل [illegible] حتى يجد حالة ثم يمسك

(١) المنار. الحديث في الصحيحين وغيرهما ولفظ البخاري في كتاب الاحكام: عن عبدالله بن عمر قال سمعت عمر يقول كان رسول الله (ص) يعطيني العطاء فأقول اعطه أفقر اليه مني، حتى أعطاني مرة فقلت اعطه من هو افقر اليه مني فقال «خذه فتموله وتصدق به فما جاءك من هذا المال وانت غير مشرف ولا سائل فخذه ومالا فلا تتبعه نفسك» وله في كتاب الزكاة: اذا جاءك بدل فما جاءك ولفظ مسلم «خذه فتموله أو تصدق به وما جاءك» الخ وزاد في آخره قال سالم: فمن اجل ذلك كان ابن عمر لا يسأل احدا شيئا ولا يرد شيئا اعطيه

(٢) هو في الصحيحين أيضا على اختلاف في ألفاظه وأوله «ما يكون عندي من مال فلن أدخره عنكم ومن يستعفف يعفه الله الخ (٣) رواه أحمد وأصحاب السنن وفيه زيادة تحدد الغنى بخمسين درهما وفي سنده حكيم بن جبير ضعيف وتكلم فيه شعبة من أجل هذا الحديث، ومعنى الخموش والخدوش والكدوش واحد (٤) روياه ايضا واللفظ للبخاري

وما سوي ذلك من المسألة فانما هو سحت اكله صاحبه سحتا (١)

ولم يكن في الصحابة لا أهل الصفة ولا غيرهم من يتخذ مسألة الناس والالحاف في المسألة بالكدية والشحاذة لا بالزنبيل ولا غيره صناعة وحرفة بحيث لا يبتغي الرزق الا بذلك . كما لم يكن في الصحابة ايضا اهل فضول من الاموال لا يؤدون الزكاة ولا ينفقون اموالهم في سبيل الله ولا يعطون في النوائب بل هذان الصنفان الظالمان المصران على الظلم الظاهر من مانعي الحقوق الواجبة والمعتدين حدود الله في اخذ اموال الناس كانا معدومين في الصحابة المثنى عليهم

(فصل) من توهم أن أحدا من الصحابة أهل الصفة أو غيرهم أو التابعين أو تابع التابعين قاتل مع الكفار أو قاتلوا النبي صلى الله عليه وسلم أو اصحابه أو انهم كانوا يستحلون ذلك أو أنه يجوز ذلك فهذا ضال غاو بل كافر يجب أن يستتاب من ذلك فان تاب والا قتل (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا)

بل كان اهل الصفة وغيرهم كالقراء الذين قنت النبي صلى الله عليه وسلم يدعو على قاتليهم من أعظم الصحابة ايمانا وجهادا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرا لله ورسوله كما أخبر الله عنهم بقوله (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) وقال (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب

(١) لفظ الحديث في صحيح مسلم « ياقبيصة ان المسألة لا تحل الا لاحد ثلاثة : رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك ، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش أو قال سدادا من عيش — ورجل أصابته فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش - أو قال سدادا من عيش - فما سواهن من المسألة ياقبيصة سحت يأكلها صاحبها سحتا »

الزراع ليغيظ بهم الكفار) وقال (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله قوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) (لها بقية)

من الخرافات الى الحقيقة

(٨)

فوز روح زردشت على روح الاسلام

من المجربات أنه اذا تأصلت عقيدة ما في نفس فرد أو جماعة يتعذر على معتقدها أو على غيره ازالتها . فان اتفق أن [illegible] هذه العقيدة فلا بد أن يبقى لها آثار في النفس تظهر بين آونة وأخرى ، بالرغم من الجهد الذي يبذله صاحب العقيدة [illegible] فان ضم اليها عقيدة قومية وامتزجت العقيدتان [illegible] هذه العقيدة المزدوجة . أضرب مثلا هؤلاء [illegible] بين طبائعهم الروحية وبين موجبات تقاليدهم التاريخية وبين مقتضيات الدين الاسلامي فلم يفلحوا . لماذا ؟ لان (زردشت) ولد في ايران ونشر مذهباً ملائماً لروح الفرس وموافقا لتقاليدهم التاريخية ، فرسخ هذا الدين في أنفسهم ، لانه جاء موافقا لحاجاتهم الروحية حتى ان ملك ذلك العصر (كشتاسب) ووزراءه وسائر الطبقات أقبلوا على دين (زردشت) إقبال العاشق المشتاق . لان روح البلاد كانت تطلب وصايا (زردشت) . فكان معبرا عما في ضميرها

ثم ان العرب ضربوا دولة الفرس في القادسية ضربة زلزلوا بها أركانها ، وقوضوا عمود خيمتها . الا أن روح ايران بقيت بمعزل عن تلك الضربة . ولم تتبدل لان تبديلها محال : حتى ان احكام الاسلام المنطقية العلوية ، لم تستطع فتح الروح الايرانية . لان هذه الروح كانت قد اعتادت وألفت عقائد أمشاجا مركبة ممزوجة بالخيالات والاوهام ، فلم تكن أسس الدين الاسلامي البسيطة لتحل محل تلك الاسس المركبة . روح الايراني كانت تطلب أحيانا عبادات

مقرونة بمظاهر العظمة والفخفخة وأحيانا بمظاهر الحزن المشمشم المعظم ، فلذلك كانوا يرون قواعد الدين الاسلامي كالشيء اليابس غير المرن . وهـذا ما تأباه أرواحهم ، وتنبو عنه أذواقهم

الدين والحكومة كانا يرتكزان على قاعدة واحدة عند الفرس . فلماسقطت الحكومة سقط الدين معها، لان سقوط القاعدة يقتضي سقوط ما بني عليها،

ان اعادة دين (زردشت) كانت في نظر الايرانيين اسهل وأسلم من التوسل لاعادة عرش كسرى . ولكن اعادته تتوقف بالطبع على إضعاف الدين الذي حل محله . لذلك صمموا على الامور الآتية

(١) زلزلة قواعد الاسلام
(٢) إدخال تقاليد الفرس في سويداء قلبه
(٣) إحداث مذاهب جديدة
(٤) ابتداع طرق مستحدثة

والقصد من ذلك كله [illegible] الاسلام [illegible] بين هذه المركبات أو إلباسه ثوب (زردشت) [illegible] على [illegible] حتى إذا ما عثرت رجلاه بأذيال هذا الثوب وقع و[illegible] [illegible] [illegible] لنصب عرش كسرى

لذلك يجد المدقق منا في حوادث التاريخ أن جميع الفرق الضالة ولدت في ايران، وان الخرافات والبدع السيئة جاءت من ايران . لان الاحكام الاسلامية البسيطة لم تستطع لطويع النفس الفارسية التي اعتادت الانحناء تحت أثقال التقاليد القديمة

هذا هو السبب الايجابي . وهناك سبب معنوي أيضا، وهو أن الايراني قضى عمره وهو يئن تحت استعباد السلالات المالكة . لانه كان يتدحرج بين استبداد آل (البيشداديين) و(الاشكانيين) و (الكيانيين) و (الساسانيين) وكل شعب وقع في نيران الاستبداد تطلب روحه دائما مبعثا لانينها وبث شكواها وهذه المظاهر التخييلية التي يحتفل بها الايرانيون في أيام مخصوصة هي مبعث الاسى الذي يجتمع فيه مايفيض من دموعهم ففي تلك الاجتماعات والاحتفالات يفرغ كل امرىء آلامه ويخرج منها بدون آلام

ذلك ياسيدي القاريء : سر ماتم المحرم التي يبكي فيها الايرانيون الحسين

السبط رضي الله تعالى عنه. واذا اعتاد الروح عملا وصار له ملكة فانه يصدر عنه دائما لا يعيقه عنه عائق مهما يكن قويا . ولا شأن للمظاهر والاشكال عند الروح وانما الشأن عنده للادراك والشعور الذي يبعث على العمل ، فـ(شعور يحرك داعية البكاء وسيان أبكي على كسرى أم على الحسين رضي الله عنه . باعث البكاء أساسي — وصورة المأتم فرع عنه)[1]

روح الايراني يريد أن يرى رجلا جالسا على عرش الملك بكل عظمة وفخامة، يريد أن يحصر حق التعظيم فيه وفي ورثته . لان هذا المعنى تبوأ ورسخ في سويداء قلب الشعب وأمسى روحا ثانيا له ، يريد أن يرى آمرا كبيرا ذا أبهة وبهجة يأمر وينهى متأبها متألها — لا عبدا متواضعا — ومن تحته أمة تأتمر وتطيع وتخضع. وأنى يجد هذا في الاسلام؟ الاسلام حرم الاستبداد والتعظم والكبرياء، ونسخ توارث الامر والنهي. وجعل الخلافة تابعة للشورى، وكان الخليفة كآحاد الناس بعيدا عن العظمة ومن الفخفخة . لذلك أحدثوا مسألة (الامامة المعصومة) التي هي مقام الكسروية المقدسة وتوارث الائمة عروش الاكاسرة، فاستعانوا ببني هاشم لا لاجلاسهم على عرش الخلافة . بل لاجلاس أحفاد اسماعيل الشاه على عرش كسرى

ان عقل الايراني ما كان يقدر أن يفهم معنى أصول انتخاب الرئيس السياسي من الناس . وكان انتخاب الخلفاء الراشدين الاربعة في نظره من أغرب الغرائب لان (زردشت) غرس في قلبه فكرة توارث الرئاسة والعظمة

(١) كان الروح الايراني يريد أن يبكي على (زردشت) وكسرى فبكى على الحسين. والروح البريطاني يريد أن يبكي على طريق الهند فبكى على ملك بني هاشم. روح الاولين من الفرس رأى بني أمية حاجزا فكسره وأقام مقامه دولة فارسية: دولة الشاه اسماعيل الصفوي . وكذلك الروح الاوربي رأى الاتراك حائلا دون مرامه فأزاله ولكن من أقام مقامه؟ السر برسي كوكس في العراق والسر هربرت صموبل في فلسطين وغورو في الشام

الاوربيون والايرانيون سلكوا طريقا واحدا وعملوا عملا واحدا وعيون العرب مغمضة عن مشاهدة التاريخ . وان اصحهم عارف بالامر يصمون الآذان و يقابلونه بالافتراء والبهتان . رب اهد قومي فانهم لا يعلمون (المترجم)

والجلال . لذلك كانوا يتعجبون من ترجيح أحد على علي كرم الله وجهه لان الفضل الذاتي كان في نظرهم شيئا غريبا . ولا سيما وأولاد سيدنا علي رضي الله عنهم أسباط الرسول صلى الله عليه وسلم . وهذا هو سر تولد مسألة (الامامة) فانها من مقتضيات روح ايران. ولما كان الحسين رضي الله عنه قد تزوج احدى عقائل بيت الملك في ايران من أسرة (الساسانيين) كان الفرس يعلقون أهمية كبرى على هذه النقطة

كانت روح الايراني تطلب (خداوند) أي رئيسا إلهيا لتنقاد له وتطيعه طاعة وجدانية وتمتثل أوامره بغير بحث ولا مراجعة . وأنى لها في الاسلام مثل ذلك وأكبر خليفة يقول علنا (أيها الناس من رأى منكم فيّ اعوجاجا فليقوّمه) فيجاب من آحاد الناس بكل بساطة (لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا)[1] الايراني ما كان يمكن أن يفهم هذا بروحه يأبى قبوله . وانما يريد (خداوند) أي رئيسا الهيا يأمر فيطاع بلا نقد ولا اعتراض. الايراني ينشرح صدره ان قتل أو [illegible] امتثالا لامر (الخداوند) وتكفي أدنى اشارة منه ليطيع بكل سرور . وهذا السرور لا يناله من (خداوند) . اذاً ما العمل والاسلام يأبى ذلك؟ وقد وجدوا فكرة (الامام يورث) أقصر طريق لما نووا . وهكذا فعلوا

من قرأ روح أبي مسلم من أفعاله يتضح له صدق ما نقول وللقارىء الكريم البيان

أمر الامام (ابراهيم) أبا مسلم الخراساني أن يقتل كل من اشتبه في اخلاصه وان كان ولداً لا يتجاوز طوله خمسة أشبار . فامتثل أبو مسلم هذا الامر بدون تردد لانه صدر من (خداوند) أي من امام. ومجموع من قتل أبو مسلم

(١) المنار : ليس كل ما في الاسلام ولا أهمه قول هذا الخليفة وهو عمر، بل قيد الله تعالى طاعة خاتم رسله في آية المبايعة بالمعروف فقال (ولا يعصينك في معروف) مع العلم بأنه لا يأمر الا بالمعروف . وصح عنه انه كان يقول «انما الطاعة في المعروف» وما في معناه، وقال ابو بكر في خطبته الاولى عقب مبايعته «قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فاذا استقمت فاعينوني، واذا زغت فقوموني» وعلى هذا جرى الخلفاء الراشدون كلهم

على الشبهة ستمائة ألف مسلم .ولقد صور المؤرخ ابن الاثير هذه الفواجع تصويرا تاما حتى إن (أبا سلمة الخلال) الذي أحرز عنوان (وزير آل محمد) لم يقدر أن يصون دم نفسه من قانون الشبهة لان أبا مسلم كان يتلقى أوامر مثل (الخداوند) الامام ابراهيم كأمر آلهي .

ويا ليت الامر بقي ممسوكا بروح الايرانيين وحدهم بل ان روح سورية المقتبسة من روح الروم زاد الامر اضطرابا وتهويشا، إذ من المعلوم أن بعض الجنود السورية والعراقية أغريت يوم (صفين) بعدم الطاعة لعلي كرم الله وجهه ولمعاوية أيضا . وهذه الديمقراطية الواسعة ليست الامن بقايا أفكار — بيزانس — فتشوشت أفكار العرب بين هذا الجزر الايراني والمد الرومي . (وكان العربي من القديم قانعا بالانكماش في جزيرته ولا يحلو له الا ما عنده فلا يعرف ما عند غيره . والسياسة هي معرفة المتغير ومعاملته حسبما علم من أحواله) وأوضح دليل على عقلية الايرانيين ما عمله اهل بلدة (راوند) من توابع أصفهان يوم جاءوا لمقابلة الامام المنصور اذ نادوه (يا خداوند) أي الهنا لان كلمتي امام وخداوند في نظر العرب لا تجوزان وعند ما عدلوا عن تسمية المنصور اماما لم تستطع الروح الفارسية أن تعيش بدون امام. ففتشت عليه واستمرت تفتش حتى وجدته ولكن من وجدت ؟ وجدت أبا مسلم الخراساني وادعت بأن الالوهية حلت فيه : أي في قاتل ستمائة ألف مسلم

لا يتعجب العاقل من اسناد الايرانيين الالوهية لابي مسلم. لانه والحق يقال بطل من ابطال التاريخ وسياسي هائل وهو ليس اكثر من إيراني وطني متغال ولكن العجب كل العجب تقديس غير الايرانيين له. والاحزاب التي ألفت لذلك

حزب الرزامية

ان قانون الشبهة الذي أحدثه الامام ابراهيم لم يستثن أبا مسلم بل طبقه الخليفة المنصور عليه بالذات وعلى ذلك اجتمع بعض الفرس وبسطاء العرب وأعلنوا امامة أبي مسلم على رءوس الاشهاد. وسموا جميعهم باسم حزابي. ثم أعلن (رزام بن شافو) مؤسس الحزب الرزامي ألوهية أبي مسلم . وقبل الناس ألوهية أبي مسلم الذي صار اماما قبل مدة وجيزة . حتى إن بعض الحزابيين ما كان

يصدق أن أبا مسلم يموت . بل كانوا يعتقدون بأنه سيظهر يوما ما ويملأ العالم عدلا وبعضهم كان يقول إنه مات وان الامامة انتقلت الى بنته

ما هذه العقائد وما هذه الاقوال؟ ان هي الا بقايا دين (زردشت) وعدة قليلة كثر هذا الحزب

جيم هذه الخرافات ليست من ديننا في شيء ان هي إلا خرافات ، وما أبو مسلم الاسياسي تام وامامته وألوهيته وقدسيته شيء موهوم خيالي

حزب المبيضة

ثم ظهر كاتب أبي مسلم المقنع فالتف حوله الخراسانيون الذين كانت أجسامهم مسلمة وأرواحهم أسيرة عقائد (بوذا) و (زردشت) اسم المقنع (هاشم بن حاكم) وكان يغطي وجهه لقبحه ولذلك سمي المقنع

رأى المقنع محالا في أفكار الخراسانيين . وآم مسلمين ولكن قواعد الاسلام الساذجة لم [illegible] الى دين زردشت صعب ، وكذلك الا كتفاء بالاسلام [illegible] عزم على صبغ الاسلامية بصبغة زردشتيه ، وهذا يحتاج [illegible] أن مقنعا كان خصيصا بالعلوم الطبيعية أخذ يقدم لهم قوانينها ونواميسها كمعجزات . فصدقوه واتبعوه . كانت أعماله معطوفة على هدم بناء العرب السياسي والديني معاً . لذلك توسل باحياء عقيدة التناسخ التي اكتست ثوبا هنديا وآخر مصريا وثالثا يونانيا وثوبا رابعاً ايرانيا: ولكنه زاد على أثوابها ثوباً خامساً اسلاميا . وللقاريء الكريم ما كان يقول هذا المقنع :

ان الله تجلى في باديء الامر في وجود آدم ثم انتقل الى نوح ثم الى ابراهيم ومن بعده الى موسى ثم الى محمد عليهم السلام . ومن بعده الى علي كرم الله وجهه ثم الى محمد بن الحنفية وفي النهاية حل في أبي مسلم الخراساني ومن بعده انتقل الى وجود المقنع . إن هذه العقيدة القديمة وجد من استأنس بها في ايران وسورية ومصر والهند . والتف حوله عدد ليس بالقليل . حتى إن الخليفة المهدي اضطر لان يسوق عليه ثلاثة جيوش وكان الغالب في الثلاث المعارك المقنع فهذا الظفر اطلق لسان الفرس وطفقوا يلهجون بايران واستقلالها ، عندئذ جم

الخليفة المهدي جندا كثيفا وارسله لحربه فغلب في هذه المرة وقتل المقنع في مدينة (كس) ولكن الخرافات التي نشرها بين المسلمين لم تمت

وأما سبب تسميتهم المبيضة فهو أنهم كانوا يلبسون لباسا أبيض

الزنادقة أو المحمرة

هم من اتباع المقنع ايضاً . وكانوا يسمون المحمرة لانهم كانوا يلبسون لباسا احمر(١) لقد أضر المحمرة بالاسلام أضرارا ابلغ من اضرار المبيضة وادخلوا فيه خرافات اكثر منهم واتعبوا العرب والمسلمين اتعابا دامت احقابا طويلة .

قبل الاسلام بقرنين ونصف ظهر في ايران رجل اسمه (مزدك) ونشر مذهبا جديدا فيها . ومن مقتضيات هذا المذهب اهمال كل قانون وكل نظام وحل جميع الروابط الادبية . وفتح الباب على مصراعيه لكل شهوة بشرية، بذل الاكاسرة جل المستطاع لقمع هذا المذهب ولكنهم لم يفلحوا لان الاشتراك بثروة الاغنياء والنساء للاشتراك يجذب الشبان من جميع الاطراف اليه ، وانتشر هذا المذهب حتى انه لم يبق هناك اثر للقانون والنظام وللحق وللادب وللحياء، وعد كل شيء يوافق تمكين الشهوة البشرية مباحا بل مشروعا

وفي خلافة المهدي بدا هذا المذهب ينتشر بين المسلمين ولكن بلباس اسلامي بذل الخليفة المشار اليه كل ما يمكنه لمحوه ، وسالت الدماء كالانهار ولكن بدون جدوى ، بل ظل ينتشر في خراسان والعراق انتشاراً سريعاً

ومن الغريب ان جميع المذاهب التي كان الايرانيون ينشرونها بعد الاسلام هي مقتبسة مما كان يجري في الهند وايران ولكن كانوا يبدلون اسم مؤسسها القديم ويضعون عليها اسم احد اولاد سيدنا علي رضي الله عنه ، ولم يوجد حزب أضر باخلاق المسلمين اكثر من هذا الحزب لانهم لم يكتفوا باباحة النساء والاولاد بينهم بل طفقوا يخطفون اولاد النساء الحسان من الاسواق وبهذا الشكل اتعبوا الخليفة المهدي وحكومته تعباً ما وراءه تعب المترجم

نابلس حسني عبد الهادي

---

(١) رجع الناس في هذا العصر الى جعل الملابس الملونة بلون خاص شعارا للاحزاب والجمعيات كالقميص الاسود لحزب الفاشستي في ايطاليه٠

منشور عام

(في المسألة العربية العامة والفلسطينية خاصة)

ان النهضة الوطنية الفلسطينية في مدينة نيويرك العظمى قد عقدت اجتماعا عاما بعد ما اتصل بها من تصديق عصبة الامم على الوصايات وقررت باجماع الاصوات إصدار هذا النداء لكل الجمعيات والمؤتمرات السورية والفلسطينية ولجميع السلطات العربية، لتقرر الجمعيات خطة دفاعية عامة، تجاه مالحق بالبلاد من الاذى والعبودية، على أن يحتوي على المواد الآتية :

أولا — ان الحلفاء قد خاضوا غمرات الحرب واتخذوا لانفسهم مبدأ تحرير الشعوب المستضعفة كما صرحوا بلسان وزرائهم في أثناء الحرب العظمى وبعدها وكما صرح المستر ولسن في خطبه وفي مواده الاربع عشرة . فاستنادا على هذا المبدإ ووفقا للمعاهدة المربوطة بين جلالة الملك حسين الاول وبين بريطانيا العظمى سنة ١٩١٥ بلسان المعتمد البريطاني السير هنري مكماهون ووفقا للرسائل المتبادلة بين الحكومة الحجازية والانكليزية قد ساعد العرب الحلفاء منذ سنة ١٩١٦ بدخولهم الحرب واعلانهم الثورة ضد الحكومة العثمانية [1]

ولم يكن حق العرب في الاستقلال يقتصر على الوعود والمعاهدات الدولية ولا على نظام عصبة الامم ولا على مواد الرئيس ولسن الاربعة عشرة بل على ما للعرب السوريين من تراث المجد والوطنية ، وما فطروا عليه من التقاليد وما عليه من الكفاءة السياسية والادارية ، كما يدل على ذلك وجود نواب العرب في الندوة العثمانية في الدور العثماني ، وادارة كثير منهم مناصب رفيعة من سياسية وعسكرية ، وادارية وعلمية ، مما يجعل للعرب حقا أكيدا فوق ما لهم من الحق الطبيعي في الاستقلال والحرية . غير ان الحلفاء قد ساروا فعلا على طريقة الاستعمار

(١) المنار. ان ماذكر من الرسائل بين الحجاز والانكليز وما سماه معاهدة هو خزي للعرب خدعوا به فيجب أن يردوه على صاحب الحجاز ولا يعترفوا به لانه يهدم بالصراحة قاصرين تحت حجر الانكليز أفما آن لهم أن يدركوا ويعقلوا ؟

واضطهاد الشعوب ونفع الذات . فوعدت الحكومة الانكليزية اليهود بكتاب حي أرسله المستر بلفور الى اللورد روتشلد في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ بوطن قومي في فلسطين ، وتواطأ المسيو كليمانصو والمستر لويد جورج بعد الحرب على اتفاق سايكس بيكو ، فتقسمت البلاد السورية الى أجزاء ولحق بها من الضرر والحيف والظلم والجور والعبودية ما لم تكن تتوقعه فهدمت بذلك جميع المبادئ التي افتخر الحلفاء باتخاذها مبدأ لهم ورموا بالعهود والوعود التي ربطوا بها العرب عرض الحائط

والاغرب من ذلك أن عصبة الامم التي ولدتها المبادئ الديموقراطية الحديثة والتي لها السلطة في رؤية عهود الوصايات والتي من جملة وظائفها حماية الاقوام المستضعفة كما خولها هذا الحق عهد الجمعية الموقع عليه في فرسايل في ٢٨ يونيو سنة ١٩١٩ قد صمت آذانها عن سماع صوتنا المزعج بجلاوة الحق ، وتغاضت عن كل المساوئ التي يقترفها الاوصياء في بلادنا فصدقت بلا تردد بعدجلسة سرية عهود الوصايات [illegible] تحقق رأي القائل ان عصبة الامم لم تكن الا للتوفيق بين الروح القومية الحديثة والسياسة الاستعمارية القديمة

ولما كان العرب قد فشلوا في جميع الاعمال السياسية الخارجية ولم يلاقوا من الاوربيين الا تصلفا كلما ازدادوا تقربا اليهم وجب عليهم أن يحصروا أعمالهم في بلادهم وفيما يهمهم من أمرها من حيث هي بلاد عربية أو بلاد دينية مقدسة مع المثابرة في الجهاد سياسيا واقتصاديا وعمليا

ثانيا — ان القضية العربية كانت في بدء نشأتها جامعة لكل الاقطار العربية من سورية (شمالية وجنوبية) وعراقية وحجازية وكانت الوعود التي يستندعليها العرب تتضمن كل هذه الاقطار حتى اشترك في الجيش العربي أناس من مختلف الاقطار والامصار من سائر بلاد العرب ، غير ان الدول الاستعمارية الاجنبية قد جزأت بلادنا وفككت مفاصلها وجعلت لكل قطر منها قضية تختلف عن قضية القطر الآخر من حيث طريقة الحل وارتباطها بحكومة خاصة تأييدا لسياستهم في تفريق كلمة العرب ليعسر بذلك حل القضايا العربية التي هي متمم بعضها لبعض

وفضلا عن ان القضية العربية قد ابتدأت شاملة جامعة فان موقع بلاد العرب الجغرافي من حيث فقدان الحواجز الطبيعية بينها وافتقار كل قطر الى آخر لاختلاف تربته وموارده مما يزيد الترابط الطبيعي بين العرب بالنظر لجامعة اللغة والعنصر وما يجعلنا نؤكد ان هذه القضية المتحدة سياسيا واقتصاديا يجب أن يشترك في حلها العرب كلهم ويتعاونوا على درء الخطر في كل الاقطار كما كان في بدء الحركة العربية سنة ١٩١٥ ولما كانت الامة العربية قد امتشقت حسامها لتأييد استقلالها فالنهضة ترى ان الوسيلة الاولى التي يجب أن يتخذها الفلسطينيون هي نشر الدعوة في بلاد العرب كلها للتعاون على درء العبودية عنا ، على أن يكون مبدأ التعاون وسيلة لاستقلال البلاد عن طريق الجامعة العربية . وبذلك يجب على العرب مقاومة الصهيونية والاجانب المستعمرين على السواء كما يقاومهم الفلسطينيون فيما لو كانوا منفردين . فلهذا تجد النهضة لوام الرأي على طريقة هذا الجهاد السياسي الفعلي وتقرر الخطة عند الجهاد الخطوات العملية الواجبة التي يقر عليها الرأي

ثالثا — مقاطعة اليهود ، على أن يباح لهم ما عدا الاراضي « أي الاموال المنقولة فقط » ويحرم الشراء منهم . وتأييدا لذلك فالنهضة تهتم الآن بمشروع تأسيس بنك في فلسطين ليكون المقاومة على أساس اقتصادي علمي عملي ليستفيد المزارع والتاجر ولكي لا تضر المقاطعة بالوطن . وهنا لا يسعنا الا أن نصرح أن فشل هذا المشروع ونجاحه يتوقف على أهل البلاد ، فاذا لم ير المهاجرون الذين يعملون في سبيل القضية كل ما يمكن عمله اقداما من أهل البلاد على شراء الاسهم فالمشروع سيبقى في طي الخفاء ، كما ان ذلك يدل على ان أهل البلاد لا يفقهون الطرق الوطنية الحقيقية معنى . نحن لا نرى ان الجهاد الاقتصادي هو بتحبير المقالات على أعمدة الجرائد بل العمل ، وهذا المشروع هو أعظم العمل فائدة من هذه الوجهة

رابعا — نشر الدعوة بين جميع العامة في المدن والقرى إما بتأسيس النوادي واما بالقاء الخطب والمواعظ في أوقات معينة لانارة الافكار بنور المعرفة بالقضية

الوطنية وبالاضرار التي تنجم عن بيع الاراضي وبتصوير العبودية التي تلحق بالاهالي ، وللجوامع والكنائس في هذا العمل قسط وافر .

خامسا — من أهم الاسباب القوية لحفظ كيان أمتنا وحصولنا على أمانينا الوطنية انتشار العلم . فعلى كل رجل أن يرسل ابنه الى المدارس لطلب العلم وعلى الاخص المدارس الوطنية لانها تولد في النفوس غريزة الوطنية الصحيحة .

سادسا — تتخذ النهضة ما تضمنته البنود السالفة مبدأ لها في جهادها المقبل راجية من كل جمعية أو سلطة عربية إبداء أيّ اقتراح يتعلق بالعمل الاساسي للنهضة . كما أننا نرغب في مراسلتنا لاتخاذ الطرق الفعالة المشتركة للحصول على أمانينا الحقة .

الخاتمة — قد أدرك العرب بعد أن حلب الدهر شطريهم ورأوا من صنوف العذاب ما رأوا أن وقت الاحتجاج و[illegible] قد مضى وان الطريقة الوحيدة لوصولنا الى حقنا وتحقيق أمانينا الوطنية هي أن نكون أقوياء وكما ان الضعف فينا سبب في اضطهادنا وامتهان كرامتنا العربية فالقوة ستكون سببا حقيقيا في ايصالنا الى ما نبتغي من الحرية والاستقلال فما مضى بنا من العبر السياسية والتجارب الزمنية علمنا ان ضعف العرب في تفرقهم وتشتيت شملهم ولولا ذلك لما رأينا للاجنبي أصبعا تلعب في مقدرات الامة العربية ، فكفى فيما سبق عبرة لنا وان لنا أن نحيي الاستقلال والحرية بقلوب مرتبطة معتمدين على أنفسنا في هذا الجهاد الشريف

لتحي فلسطين عربية حرة . لتحي سورية متحدة . لتحي الجامعة العربية

النهضة الوطنية الفلسطينية . نيويرك
نظمي عنتباوي . النابلسي

وفاة عالم عربي علوي

كتب الينا صديقنا العالم الرحالة الشهير السيد محمد بن عقيل من المكلا مايأتي:

وصل الي تلغراف من حيدر آباد وتأخر بعدن لعدم الراكب فوصل بالامس وفيه الاعلام بوفاة عالم الشرق، البدر المشرق، الناضل عن النبي الامين، والانزع البطين، والآل الميامين، وعدو النواصب أجمعين، شيخنا السيد أبي بكر بن عبد الرحمن بن محمد بن شهاب الدين باعلوي رحمه الله رحمة الابرار، وألحقه بمن أحبهم وألحقنا بهم في عاقبته، وعظم فيه الاجر وأحسن الخلف، وانا لله وانا اليه راجعون توفي ليلة الجمعة قبيل العشاء الساعة ٧ زوالية : ٩ الجاري في حيدر آباد الدكن ودفن بعد صلاة الجمعة . وكانت ولادته سنة ١٢٦٢ ويجمعها حروف

(أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب الدين باعلوي

٢٣١ ٥٢ ٧٦ ٣٨١ ٤٠٣ ١١٩

وله مصنفات في الاصلين، والفقه، والانساب، والحساب، والطبيعيات، والادب، والمنطق، وغير ذلك فتاوى جمة . وديوان شعر، وقد نشر في الجرائد كثير من قصائده وبآخر النصائح الكافية له قصيدتان، وأرسلت اليكم عددا منها، وأظن أن أخانا السيد عبد الله دحلان يكتب له ترجمة، وقد أفقطي نعيه (ولله الامر من قبل ومن بعد) وفيه خلف عن كل هالك وهو المستعان .

في ٢٤ جمادى الاولى سنة ١٣٤١

(المنار) نعزي صديقنا الكاتب وسائر السلالة العلوية والبلاد الحضرمية والهندية والامة العربية عن هذا العالم المتفنن الذي خدم العلم واللغة العربية بكتبه الكثيرة، وبتدريسه وتعليمه وتصحيحه كثيرا من مطبوعات (مطبعة دائرة المعارف النظامية) في حيدر آباد الدكن موطن إقامته ومما بلغنا من ترجمته انه هو الذي جدد الدعوة الى موالاة آل البيت ومعاداة أعدائهم في القديم والحديث فراجت في علوية الحضارمة

المنتشرين في جزائر جاوه وماجاورها من الارخبيل أناس غلوا لايرضاه الفقيد ولاتلامذته المعتدلون حتى وجد فيهم من ضل بنزغات الباطنية التي دسوها في الشيعة ولم يقنوا عندحدماكانت به الشيعة شيعة ، ونشروا في ذلك رسائل عديدة ، فنهد لهم آخرون يردون عليهم، وعظم الشقاق بين جوالي العرب في تلك البلاد من الافراد والجماعات، وطفق بعضهم يطعن في بعض ، وقد كان المسلمون هنالك متفقين على تكريم السادة العلويين وتفضيلهم على غيرهم وان كان يفوقهم علما وتقوى فصار لهم بعد ذلك أعداء وخصوم أقوياء. ولم نقف لهذه الدعوة على فائدة توازي ذلك أو ترجح عليه فعسى أن يشرح لنا صديقنا السيد عبدالله دحلان في ترجمة الفقيد الكريم تغمده الله برحمته أو في مقال خاص فقد كثرت علينا الرسائل من الفريقين المتنازعين ونحن معرضون عنها لاننا نكره الشقاق والتنازع ونتحرى أن نكتب ما نرجو به إصلاح ذات البين ، وهو يتوقف على معرفة كنه الحال بين الفريقين .

تقريظ المطبوعات

(المرأة في التاريخ والشرائع) — هو « كتاب مصور فيه ٢٧ رسما يبحث في تطور المرأة في التاريخ منذ عهد البشر البدائي حتى الآن حيث تبوأت كراسي مجالس الامم : فيدخل في ذلك الكلام عن المصرية القديمة والبابلية والاشورية والصينية واليابانية واليونانية والرومانية والفينيقية ولا سيما العربية قبل الاسلام وبعده . ويختم الكتاب في الكلام عن تطور شأن المرأة في التمدن الحديث في الغرب وفي الشرق الادنى خاصة ملما بتاريخ مسألة الحقوق النسائية — فهو اذا يكاد يكون بما فيه من أحكام الشرائع تاريخا عاما »

مؤلف هذا الكتاب صديقنا البحاثة محمد جميل بك بيهم من سروات بيروت وقد ذكر في مقدمته أن الباعث له على تأليفه ما يراه من تطور شأن

النساء في الشرق تبعاً لتأثير حضارة الغرب فيه واكتساحه لاخلاقه وتقاليده وآدابه فأحب أن ينبه لامة العربية أن لا تؤخذ في هذا على غرة وأن ينشط الكتاب للتأليف في هذا الموضوع ويمهد السبيل لنقد رأي عام في مسألة المرأة

طبع الكتاب في بيروت سنة ١٣٢٩ وقد نظرت في بعض فصوله نظرة عجلى فأعجبني طريقة البحث فيه ونظام التأليف، ثم أمسكته بالقرب مني راجيا أن أجد فرصة أطالعه فيها بالدقة التي تمكنني من نقده فلم أظفر بها. ولكني أشهد له بما عقلت من النظرة الاجمالية أنه من الكتب الجديرة بالمطالعة والاعتبار والنقد . وصفحاته ٢٧٠ ونيف ما عدا الصور والرسوم . وثمن النسخة منه عشرون قرشا . ويطلب من مكتبة المنار بمصر

(تهذيب الالفاظ العامية) اللغة العامية المستعملة في مصر وغيرها من البلاد الافريقية والآسيوية العربية هي اللغة العربية طرأ عليها التحريف والتصحيف، وترك الاعراب في التخاطب بها ثم دخل فيها ألفاظ من لغات الشعوب المخالطة والمجاورة لاهلها ممن دخل في الاسلام كالفرس والترك والبربر ثم من الافرنج . وان في هذه العامية كثيراً من فرائد اللغة المهجورة يتحاماها الكتاب والمؤلفون في اللغة الصحيحة لغرابته عليهم أو لجهلهم بأنها من اللغة وقد يكونون في أشد الحاجة اليها ولا سيما المترجمين لبعض الكتب الاعجمية منهم — فلهذا عني بعض علماء اللغة قديما وحديثا ببيان الدخيل والمولد وتمييز العربي الصحيح من ألفاظ العامة من الدخيل ورد المصحف أو المحرف الى أصله . وأجمع ما كتب في هذا العصر وأوسعه وأتقنه فيما نعلم كتاب (تهذيب الالفاظ العامية) للاستاذ الشيخ محمد علي الدسوقي خريج دار العلوم المصرية والمدرس في المدارس الاميرية . وقد نفدت الطبعة الاولى منه فأعاد النظر فيه وصحح ما كان قد ظهر له من خطأ فيه وزاد فيه زيادة صالحة ثم طبعه ١٣٣٨ طبعة ثانية بلغت صفحاتها ٣١٨ صفحة

وقد وضع للكتاب مقدمة في أدواء العربية العامية وأدويتها التي ترجع بها الى أصلها — وهي اللحن ودواؤه النحو والتحريف ودواؤه بيان أصله ورده

اليه — والدخيل ودواؤه يتوقف على تأليف مجمع لغوي . . . وانتقل الى بحث التعريب فأطال الكلام فيه وما يتعلق به ولا سيما التعريب من اللغات الافرنجية الذي كثر الجدال وعظم الخلاف فيه في المجمع اللغوي الذي أنشئ بمصر وفي غيره ويلي ذلك فصول في الوسائل العملية لتعميم اللغة الصحيحة ونسخ العامية بها سماها الادوية العامة . وفصول أخرى من تاريخ اللغة بحث فيها في تهذيبها وأدوار تنقيحها قبل الاسلام وبعده وفي الاعراض « التي ظهرت عن داء التحريف » وهي عشرة وفي بعض اللهجات الموروثة عن العرب. هذه جملة مباحث المقدمة وأما مباحث الكتاب فقد جعلها في جداول مقسمة الى أقسام

(الاول) ما تنطق به العامة صحيحا ويظن أنه عامي

(الثاني) المحرف بالحركات والاوزان

(الثالث) المصحف بالحروف ويتبعه مباحث المهموز والممدود والمشدد والمخفف واللازم والمتعدي و[illegible] بلغة العامة وما تقلبه وما تستعمله من البحث والجمع والافراد والنسب اي ما تخالف به العربية الفصيحة من ذلك وغيره ويليه المولد والفرق بينه و بين المصنوع

(والقسم الرابع) في سرد الكلمات العامية ومرادفاتها العربية في أثاث المنزل ومتاعه وماعونه وهو مرتب على حروف المعجم

ولا يحتاج القارئ بعد هذا البيان الوجيز لمباحث هذا الكتاب الى شهادة له بأنه جدير بأن يسمى تأليفا جديداً مفيداً وانه جدير بعناية علماء اللغة العربية والساعين لاحيائها . وانه ينبغي لاهل الاقطار العربية الاخرى في المشرق والمغرب أن يحصوا من ألفاظ عوام بلادهم ما أحصاه المؤلف

(مذكرات غليوم الثاني) شرع الكاتبان محب الدين افندي الخطيب وأسعد افندي داغر في ترجمة هذه المذكرات وطبعها في أجزاء صغيرة كالمجلات وسيكون الكتاب بعد تمامه ٢٠٠ صفحة وثمنه خمسة قروش . وقد صدر العدد الاول منه في ٥٢ صفحة وهو ربعه ولكن جعل ثمنه ٤ قروش وقد طبع بالمطبعة السلفية على ورق جيد و يطلب من مكتبتها ومن سائر المكاتب